الكتاب العزيزي

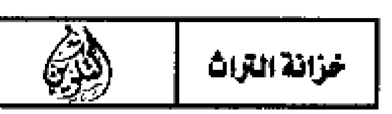
المسالك والممالك

للحسن بن أحمد المهلّبي

جمعه وعلق عليه

تيسير خلف





الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك

للحسن بن أحمد المهلّبي

جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه

تيسير خلف

الطبعة الأولى 2006



للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - حلبوني - هاتف 2236468 - 094330989

البريد الالكتروني: taakwen@yahoo.com

التراث العربي المحروق

الكتاب العزيزي

أو

المسالك والممالك

للحسن بن أحمد المهلّبي

جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه

تيسير خلف

تقديم

نشأ علم «المسالك والممالك» في أوج ازدهار الخلافة العباسية، على يد عدد من المصنفين وكتاب الدواوين، الذين كانت تتجمع بين أيدهم معطيات كثيرة عن الطرق والمسالك والخراج والواردات والنفقات، وأسماء المواضع. وكان كتاب ابن خرداذبة «المسالك والممالك» الذي وضعه سنة ٢٣٢ هجرية [٨٤٦ م] فاتحة هذا العلم، بعد أن تولّى البريد والأخبار في «بلاد الجبل» في عهد المعتمد العباسي.

وقد تطور هذا العلم بشكل مضطرد، إلى أن بلغ ذروته في القرنين اللاحقين. ثم تطور في صدر العصر المملوكي على شكل موسوعات كوزموغرافية لعلّ أشهرها وأهمها موسوعة «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية [١٣٣٨ م]. واختُتم بكتاب «زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك» لخليل بن شاهين الظاهري المتوفى سنة ٨٧٣ هجرية [١٤٦٨ م]، والذي يُعَدّ آخر المصنّفات العربية الإسلامية في هذا العلم.

وبين كتاب ابن خرداذبة وكتاب الظاهري، ظهرت مؤلّفات كثيرة تحمل الاسم نفسه، أي «المسالك والممالك» أو شيئاً قريباً من

ذلك، مثل كتاب الجيهاني وابن حَوقل والإصطخري والبكري وغيرهم.

ويرى العلاّمة السوري الدكتور صلاح الدين المنجّد، أن علم «المسالك والممالك» هو أقرب ما يكون للجغرافيا الوصفية (Geographie Descriptive) لأنه لم يقتصر على ذكر الطرق والمسالك والمراحل بل وصف البلدان والمدن، إدارةً وتاريخاً واقتصاداً، أوصافاً تقلّ أو تزيد باختلاف العصر والمؤلف.

ومن أبرز من وضعوا كتباً في علم «المسالك والممالك» مؤلّف عاش في الحقبة الفاطمية يدعى الحسن بن أحمد المهلّبي، الذي صنّف كتاباً في هذا العلم للعزيز بالله الفاطمي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري سمي بالكتاب «العزيزي». وقد حظي هذا المصنَّف المهم بعناية واهتمام الكثير من المؤلفين العرب المسلمين الذين أتوا بعده، فوصفه ابن العديم مؤلّف «بغية الطلب في تاريخ حلب» والمتوفى سنة ٦٦٠ هجرية [١٢٦٢ م]، بأنه «كتاب حسن في فنه، يوجد فيه مما لا يوجد في غيره من أخبار البلاد وفتوحها وخواصها». وقد نقل ابن العديم عن المهلّبي مقاطع مهمة تتعلق بحلب والثغور الشمالية قبل سقوطها نهائياً في يد البيزنطيين أواسط القرن الرابع الهجري. كما نقل ياقوت الحموي في معجم البلدان عن كتاب المهلّبي أكثر من ثلاث وخمسين مرة، ونقل عنه أبو الفداء في تقويم البلدان ٢١٠ مرات.

ورغم ذلك سكتت كتب التراجم العربية عن هذا المؤلف الفذ، ولم يذكره ابن خلّكان في «وفيات الأعيان»، ولا الذهبي في «سيَر أعلام النبلاء» ولا الصفدي في «الوافي بالوفيّات»، ولا ابن النديم في الفهرست. غير أن حاجي خليفة صاحب «كشف الظنون» قال فيه «المسالك والممالك المشهور بالعزيزي للحسين بن أحمد المهلّبي المتوفى سنة ٣٨٠ هـ ألّفه للعزيز بالله الفاطمي صاحب مصر ونسبه إلى اسمه». وربما يرجع خطأ حاجي خليفة في تسميته بالحسين بدل الحسن إلى اعتماده على ياقوت الحموي الذي يخطئ أيضاً في الاسم غير مرة.

ويشير البابانى في «هديّة العارفين» إلى المهلّبي ولكنه يذكر معلومات غير دقيقة، فينسب الكتاب للمعز الفاطمي وليس للعزيز.

ولا نعرف على ماذا اعتمد حاجي خليفة والباباني في تقدير أن وفاة المهلّبي كانت في عام ٣٨٠ هجرية [٩٩٠ م]

وقد تجاوز المستشرقون الغربيون الذين درسوا التراث الجغرافي العربي هذا المؤلّف الفذ، باستثناء المستشرق آدم ميتز صاحب كتاب «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع» [الهجري]. الذي قال: «إن لكتاب المهلّبي مزية، هي أنه أول كتاب وصف بلاد السودان وصفاً دقيقاً، وكان علماء الجغرافيا في القرن الرابع لا يعرفون من أخبار السودان شيئاً».

كما تحدث عنه المستشرق الروسي إغناتي يوليانوفيتش كراتشكوفسكي صاحب «تاريخ الأدب الجغرافي العربي»، الذي أكّد على الأثر الكبير لكتاب المهلّبي على المؤلفات التالية.

ورغم أن كراتشكوفسكي يقرّ بصعوبة الحكم على هذا الكتاب بسبب فقدانه، فهو يلاحظ أن المقتطفات التي نقلها عنه المؤلفون المتأخرون، توضح أنه يستند على أوصاف الطرق، وخاصة طرق إفريقيا، فهو يمثل أحد المصادر الرئيسية لياقوت، الذي ينقل عنه أكثر من ستين مرة[1]. ولكنه لا يقتصر على إفريقيا وحدها، فياقوت مثلاً يرجع إليه أكثر من مرة بصدد مواضع مختلفة في الجزيرة العربية. ويلاحظ كراتشكوفسكي أن ياقوت يوليه عناية خاصة من بين مصادره ويضعه جنباً إلى جنب مع المقدسي.

ويشير أخيراً إلى أن أبا الفداء استعان به كثيراً. كما ظل كتابه معروفاً مباشرة إلى أيام دولة التيموريين، فاستعمله في بداية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) حافظ آبرو[2] عندما وضع مصنفه في الجغرافيا[3].

في صيف سنة ١٩٥٧م من القرن الماضي، عثر الباحث الدكتور صلاح الدين المنجّد على مخطوطة فيها قطعة من كتاب المهلّبي

١- في الواقع ياقوت ينقل عنه ٥٣ مرة.

٢- جغرافي ومؤرخ فارسي ويعرف أيضاً باسم شهاب الدين عبد الله بن لطف الله الهروي.

٣- تاريخ الأدب الجغرافي لكراتشكوفسكي ١/ ٢٣٠.

«المسالك والممالك» في مجموعة يمني من مخطوطات الأمبروزيانا بميلانو تحت رقم ٢ G. وهي عدة أوراق قديمة إلى جانب أوراق أحدث منها، خطها واضح قليل الإعجام، وتقع في أربعة عشر ورقة، في الصفحة ٣٠ سطراً، وفي السطر ١٠ كلمات وقد تبلغ ١٣ كلمة. وهي عبارة عن قطعة من كتاب لمحمد بن الحسن الكلاعي، ينقل فيه صفة بيت المقدس عن كتاب المسالك والممالك للحسن بن أحمد المهلّبي، وذكر لولاة مصر، وصفة دمشق، إضافة إلى اقتباس آخر من ابن حوقل.

وقام الدكتور المنجّد بنشر هذه المخطوطة في مجلة المخطوطات العربية عام ١٩٥٨ مع تحقيق مبدئي لها، وتعريف مختصر بالكاتب والكتاب. غير أن الدكتور المنجّد يخلط في تعريفه لهذا الجغرافي بينه وبين أحد رواة الحديث، ويدعى محمد بن الحسن بن المهلّب، والذي حدَّث عنه أبو العباس أحمد بن محمد بن جعفر المؤدِّب الأبهري، حسبما يرد في مادة أبهر من «معجم البلدان» لياقوت الحموي. ومصدر هذا الخلط أن الدكتور المنجّد لم يحقق الاسم بشكل صحيح ليتأكد من أنه يخص شخصاً آخر، ربما ولد في زمن آخر. كما أنه لم ينتبه إلى انتماء الحسن بن أحمد المهلّبي إلى المنظومة الفكرية الشيعية التي لا تُعنى بعلم الحديث لا من قريب ولا من بعيد.

كمـا أن الكلاعـي الـذي ينقـل عـن المهلّبي في مخطوطـة الأمبروزيانا، هو الآخر مجهول بشكل كامل، ولا نعلم شيئاً عنه باستثناء ما رجّحَه المنجّد من أن يكون قد عاش في القرن الخامس الهجـري، بنـاء علـى تذييلـه لمـن حكـم مصـر وصـولاً إلى الظـاهر الفاطمي.

ويبدو التساؤل مشروعاً حول سبب توقف المهلّبي عند المعز لدين الله الفاطمي في تعداده لمن حكم مصر، ولماذا لم يذكر العزيز بالله رغم أن الكتاب أهدي له. فالاحتمال الأول أنه ألف الكتاب أثناء حياة المعز وعندما كان العزيز ولياً للعهد. أما الاحتمال الثاني وهو الأقرب للمنطق فهو أن اسم الحاكم يوضع عادة في كتب التراجم بعد نهاية حكمه، إما بالموت أو الخلع. ولذلك لم يوضع اسم العزيز في اللائحة لأنه كان مايزال على قيد الحياة.

وغير ذلك لا نكاد نعثر على شيء يخصّ هذا المؤلّف الذي شكّل أحد المصادر الرئيسية لأهم كتابين في البلدانيات العربية وهما «معجم البلدان» و«تقويم البلدان». فلماذا سكتت الكتب عن ترجمته؟ ولماذا فقد الكتاب أساساً مادام يحظى بهذه الأهمية؟! أسئلة تؤرق أي باحث بعد أن يقرأ ما يتوفر له من هذا الكتاب، ولكنه سرعان ما يكتشف أن حالة الانغلاق الفكري التي سادت الجزء الثاني من العصر المملوكي هي المسؤولة عن إغفال الحديث

عن المهلّبي، وربما إحراق كتابه بشكل نهائي، ومحاولة محو أثره من هذا الوجود.

أول مايلفت النظر في ما وصلنا من كتاب المهلّبي أنه يتبنى وجهة نظر شيعية حيال الواقع والتاريخ، وذلك ما نلمسه من خلال تعليقاته على بعض القضايا والأحداث التي يمرّ بها.

فتجده يفسر سقوط الثغور الشمالية أي طرسوس والمصيصة وغيرها، بوصول قوم من الخوز والعجم إلى هذه البلاد ومجاهرتهم بالنصب أي شتم آل البيت. فيقول تعليقاً على سقوط هذه الثغور «فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ»، محاولاً تصوير الأمر وكأنه انتقام إلهي.

كما نلمس تبنيه لروايات شيعية حول بني أمية. حيث يذكر أن الوليد بن عبد الملك اصطبح في الجامع الأموي بين قِيَانهِ أربعين يوماً، وقال: أخذت صفوه وتركت للناس كدره. كما أنه يشير إلى محاولة الوليد صرف أبناء الشام عن الحج إلى البيت الحرام ببنائه حرماً في القدس لكي يحجّ الناس إليه ولا يذهبوا إلى الحجاز ويعرفوا فضل آل البيت على بني أمية. وكذلك روايته لزيارة عمر بن الخطاب إلى دمشق في الجاهلية ومساهمته في ترميم الكنيسة، وإرشاد اليهود له إلى موضع الصخرة التي أقيم عليها المسجد وغير ذلك من روايات وتفاسير وقراءات للتاريخ ، ولا غرابة في ذلك، ففي عصر المهلّبي كان الشيعة يشكلون غالبية أهل

الشام، وكانت العائلات الشيعية تحكم معظم أجزائه بدءاً بالحمدانيين في حلب والثغور الشمالية، ثم تلاهم بنو مرداس الكلابيين في نواحي حلب أيضاً، ثم بعدهم بنو جندل في البقاع ووادي التيم. ناهيك عن وجود معاقل شيعية مدينية كبرى كمدينة حلب وطبرية وماحولهما، هذا إذا تجاوزنا الجبال والأرياف.

وقد أدى صعود نجم السلاجقة الترك وبعدهم الأيوبيين الكرد، في فترة الحروب الصليبية وهم من السنّة، إلى تراجع النفوذ الشيعي في بلاد الشام بشكل متدرج، إلى أن تم إقصاؤه نهائياً في العصر المملوكي. وهنا لابد وأن نشير إلى حالة الجمود الفكري التي سادت بلاد الشام ومصر في نهاية دولة الشراكسة، ما يجعلنا نعتقد بأن ذلك العصر تحديداً، شهد إحراق كتاب العزيزي، حيث فُقِدَ أثره ولم يعد قيد التداول.

ورغم أن القلقشندي الذي عاش في الجزء الثاني من الفترة المملوكية نقل عنه أكثر من مائة مرة في «صبح الأعشى»، إلا أن مراجعتنا النقدية لتلك المنقولات جعلتنا نتأكد أنها منقولة عن أبي الفداء وليس من المصدر. كما يمكن القول أن اقتباس عزّ الدين ابن شداد لمقطع حول مدينة حلب من المهلّبي كان عن طريق ابن العديم وليس من المصدر أيضاً. و يتضح ضيق ابن شدّاد المتوفى سنة ٦٨٤ هجرية [١٢٨٥ م] مما ورد في كتاب المهلّبي عندما استنكر بعض ما ذكر عن حلب قائلاً في نهاية اقتباسه: «وذكر كلاماً

كثيراً لا يليق بما نحن بصدده فأضربنا عنه». عكس أبي الفداء الذي نقل خبر بناء الوليد بن عبد الملك للقباب في بيت المقدس، ومحاولته صرف الناس عن الحج إلى البيت الحرام، وقال معلّقاً: «والعهد عليه في ذلك»، أي أنه لم يصدر حكم قيمة، بل ذكر أنه لم يعثر على هذه الرواية في مصدر آخر، ولذلك أشار تلك الإشارة.

ويثير الانتباه ذلك الخلط الكبير حول اسم المهلّبي في اقتباسات ياقوت الحموي حيث يرد بأكثر من رسم، فهو يسميه محمد بن الحسن المهلّبي، و أبو الحسن المهلّبي، و الحسن بن محمد المهلّبي، والحسين بن محمد المهلّبي، والحسين بن أحمد المهلّبي. والحسن بن محمد المهلّبي المصري. وما يجعلنا نتأكد من أن الأسماء السابقة كلّها تخصّ شخصاً واحداً وجود مشترك بينها وهو الكتاب «العزيزي»، الذي يقطع الشك باليقين حول هذا الالتباس. والمؤكد أن السبب في ذلك غزارة إنتاج ياقوت، وانشغاله عن مراجعة الاسم بشكل صحيح.

ولكن الكلاعي وأبي الفداء وابن العديم يجمعون على أن اسمه الحسن بن أحمد المهلّبي. وهو الذي يجعلنا نوقن بأنه الصحيح، نظراً لاعتناء أبي الفداء بالضبط والتدقيق والتمحيص في كتابه الذي وضع أساساً لهذه الغاية.

لقد سعينا من خلال إعادة جمع هذا الكتاب من شتات الكتب والمخطوطات وترتيبه وتحقيقه، إلى إضاءة جانب مهم

وأساس من جوانب الثقافة العربية الإسلامية، بعد قرون من محاولات تأطيرها في نمط فكري محدد، أو ضمن لون واحد لا يرى الآخر ولا يعترف باختلافه، بل يلجأ إلى تكفيره واختزاله وقولبته في أنماط فكرية ومقولات جاهزة.

ولنا في قول أبي الفداء: «والعهد عليه في ذلك» أي الرواية على ذمة الراوي، خير منهج في التعاطي مع الرواية المخالفة، أو تلك التي لا تتفق مع توجهاتنا، ذلك المنهج الذي غاب منذ نحو سبعة قرون فوصلنا إلى ما وصلنا إليه.

ألّف الحسن بن أحمد المهلّبي كتابه «المسالك والممالك» للعزيز بالله الفاطمي، في الفترة ما بين عامي ٣٦٥ هجرية [٩٧٥ م] و٣٨٠ هجرية [٩٩٠ م] أي تاريخ وفاته كما تشير المصادر المتوفرة. ولذلك سمي بالكتاب «العزيزي».

وينقل لنا المقريزي في «اتعاظ الحنفا» صورة مشرقة عن العزيز بالله الفاطمي الذي يبدو لنا قائداً حكيماً حليماً محباً للعلم والعلماء كارهاً لسفك الدماء، عفوّاً إلى أقصى درجات العفو، لم ينتقم من رجل قام ضدّه أو تمرّد عليه، ولم يردّ طالباً ولم يخذل سائلاً. جنوحاً نحو السلم والمهادنة، حريصاً على أداء فرائضه الدينية، مواظباً على خدمة الحرمين بالكسوة والنفقات.

وإضافة إلى كل ذلك من صفات تجعله واحداً من أعدل وأعظم الحكام العرب المسلمين، تجده مهتماً بالعلم والعلماء شغوفاً

بالكتب إلى أقصى درجات الشغف. يقول المقريزي: «ذكر عند العزيز كتاب العين في اللغة، فأخرج منه نيفاً وثلاثين نسخة من خزائنه، منها واحد بخط الخليل بن أحمد مؤلّفها. وحُملت إليه نسخة من تاريخ الطبري اشتراها بمائة دينار، فأمر الخُزّان فأخرجوا من خزائنه عشرين نسخة، منها نسخة بخط محمد بن جرير جامعه. وذكرت عنده جمهرة ابن دريد فأخرج منها مائة نسخة». كما يشير واضعو كتب التراجم إلى أن الشابشتي مؤلف كتاب "الديارات" عمل خازناً لمكتبة العزيز بالله، والرحالة الفذ المقدسي البشاري أهداه النسخة الأخيرة المنقحة من مؤلفه المهم "أحسن التقاسيم".

ولذلك لم يكن غريباً أن يهدي المهلّبي كتابه لهذا الرجل الحليم، والذي سبق لمؤلّف آخر أن أهداه كتاباً عن «البيزرة» أي علم أحوال الجوارح من حيث صحّتها ومرضها، ومعرفة العلائم الدالّة على قوتها في الصيد. حيث قال المؤلف إنه كان «بازيار العزيز بالله نزار الفاطمي و نشأ في ظل هذا الخليفة منذ كان صبياً، وغذاه بنعمته ورقّاه إلى أن صار إقطاعه عشرين ألف دينار، وجعله مقدّماً على البيازرة»[4].

وحسب السمعاني في كتاب الأنساب فإن المهلّبي بضم الميم، وفتح الهاء، وتشديد اللام، وفي آخرها الباء المنقوطة بواحدة، هذه

٤- كتاب البيزرة، طبع بعناية محمد كرد علي، المجمع العلمي بدمشق.

النسبة إلى أبي سعيد المهلّب بن أبي صفرة الأزدي أمير خراسان وأولاده العشرة نسبة وولاء. أي أن كل من يتكنى بالمهلّبي إما أنه ينتسب لأحد أبناء المهلّب بن أبي صفرة العشرة أو من مواليهم. ولا تتوفر لدينا معلومات لنحكم إن كان المهلّبي مهلبياً بالأصل أم بالموالاة.

ويقوم ابن العديم بترجمة مختصرة للمهلّبي في سرده لرجال ولاية حلب. إذ يقول: « الحسن بن أحمد المهلّبي العزيزي: رجل فاضل كان متصلاً بالعزيز الفاطمي المستولي على مصر، ووضع له كتاب المسالك والممالك «العزيزي» وهو كتاب حسن في فنه، يوجد فيه مما لا يوجد في غيره من أخبار البلاد وفتوحها وخواصها. ذكر في كتابه هذا أنه دخل حلب، ولحق بقية من ولد صالح بن علي، يقال لهم بنو القَلَنْدر، وأنه شاهد لهم نعماً ضخمة ورأى لهم منازل في نهاية السرو»[٥].

وفي أحد المقاطع التي ينقلها ياقوت عن المهلّبي يصفه بالمصري، وهي الإشارة الوحيدة التي نعثر عليها حول انتمائه إلى مصر ولو بالإقامة، علماً أن احتمال أن يكون شامياً احتمال وارد.

ويتضح لنا من خلال ما وصلنا من كتاب «المسالك والممالك»، أن المهلّبي رحّالة لا يُشَق له غبار، وصل إلى أقاليم لم يسبقه أحد إليها وخصوصاً في بلاد السودان. كما أنه يتحدث عن المسافات

٥- بغية الطلب لابن العديم ص٢٢٩٣.

والطرق حديث العارف والمجرِّب، وهو ما انتبه إليه أبو الفداء وأشار له أكثر من مرة.

وتتصف معلومات المهلّبي بدقتها بالنسبة للمسافات بين المدن والأقاليم، وجِدَّتُها حيث يبدو مصدراً وحيداً لبعض المواضع، وسعتُها حيث يذكر مصادر المياه وعادات الناس وأحوالهم وزروعهم ومحاصيلهم.

وأكثر ما يثير الاهتمام تلك الأرقام التي يسوقها عند حديثه عن نفقات طرسوس على تأمين حمايتها قبيل سقوطها بيد البيزنطيين بقيادة نقفور فوكاس عام ٣٥٤ هجرية [٩٦٥ ميلادية].

ومن خلال وصف المهلّبي، نستطيع أن نكوّن فكرة شبه كاملة عن التاريخ الاجتماعي، والتركيبة السكانية للثغور الإسلامية الشمالية قبيل سقوطها، وربما، العوامل التي أدت إلى هذا السقوط.

كما أن الكتاب يحفَل بمعلومات جديدة حول دمشق وبيت المقدس وحلب وأنطاكية وغيرها من المدن التي وصلتنا مقاطع مسهبة عنها، ما يؤشر إلى غنىً وسِعَةِ معلوماتٍ، لم يغيبا عن ابن العديم، الذي نوّه إلى أن في «العزيزي» ما لا يوجد في غيره.

ونستطيع أن نجزم بأنه زار البلاد التي تحدّث عنها في كتابه ولم يعتمد على النقل من غيره، وذلك من خلال إشارات عابرة وردت في متن ما وصلنا من كتابه، منها أنه أقام في مدينة نخشب

في بلاد ماوراء النهر مدة شهر، وأنه اجتاز بسامراء، وأنه أتى حلب، وغير ذلك. هذا إذا تجاوزنا طريقة وصفه للمدن والمواضع التي تشير بما لا يدع مجالاً للشك أنه زارها وعاينها بنفسه.

ومن الإشارات المهمة حديثه في مادة بُصرى عن قلعتها التي شبّهها بقلعة دمشق، وهي إشارة من شأنها أن تضيء جانباً من تاريخ قلعة دمشق، التي يقال إن السلاجقة هم الذين بنوها، علماً أن المهلّبي زار دمشق قبل دخول السلاجقة إليها بنحو قرن.

كما أن إشارته لوجود كنيسة مقابلة للمسجد الأقصى من جهة المحراب بحيث تتصل أروقتها بأروقة المسجد، تعدّ على غاية من الأهمية بالنسبة إلى وضع المساجد والكنائس في بيت المقدس قبل الحروب الصليبية وما تلاها من عمليات هدم وإعادة بناء طالت كل شيء تقريباً.

لقد قمنا بجمع مادة الكتاب من جميع المصادر العربية المتوفرة، وهو ما كلفنا جهداً كبيراً، وبوّبناه على نسق «تقويم البلدان» لأبي الفداء، نظراً لدقة المنهج الذي اعتمده، كما قمنا بوضع الحواشي والشروح والتعليقات بالاعتماد على المراجع والمعاجم المتوفرة لتوضيح اللبْس الذي يلفّ بعض النصوص، الناتج عن عمليات الاجتزاء التي جرت عليها نتيجة النقل. كما عدنا إلى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد للوقوف على الاقتباسات التي أخذها المهلّبي عنه عندما تحدث عن تاريخ بيت المقدس. وقد

لاحظنا أن النصوص تكاد تكون متطابقة بين ما نقله المهلّبي وبين ما هو موجود في أسفار العهد القديم، والذي ينقل عنه دون أن يشير إلى موضع النقل جرياً على عادة القدماء، إذ يكتفي بالقول: «يزعم أهل الكتاب»، أو «قال أهل الكتاب»، أو«قال أهل الكتاب من النصارى».

ومن الواضح أن المهلّبي أراد لكتابه أن يكون جديداً في كل شيء، فلم ينقل عن غيره من المصنِّفين العرب الذين سبقوه في هذا العلم، ولم يشر إلى أي مصدر، كما أن الدراسة المقارنة للنصوص تجعلنا نجزم بأن معلوماته أصيلة حققها بنفسه، ومصدرها تجربة شخصية وبحث ميداني. ومن هنا أتت أهمية هذا الكتاب، ولذلك نقل عنه مؤلفون رصينون مثل ابن العديم وياقوت الحموي و أبو الفداء.

وفي النهاية لابد من إيضاح أن المقاييس والأطوال التي ترد في نصوص هذا الكتاب تعتمد المصطلحات القديمة كالفرسخ والميل والمرحلة، وقد فصل أبو الفداء في هذه المقاييس وقارن بينها في مؤلفه "تقويم البلدان" ونفردها هنا لكي نزيل أي التباس:

الفرسخ = ٣ أميال.

الميل = ٣ آلاف ذراع حسب القياس القديم و٤ آلاف ذراع حسب القياس الحديث (المعاصر لأبي الفداء).

الذراع = ٣٢ إصبعاً حسب القياس القديم، و٢٤ إصبعاً حسب الحديث.

الإصبع = ٦ حبات شعير معتدلات مضمومة بطون بعضها إلى بعض.

وحبة الشعير في المتوسط = ٢,٦ ملم.

وعند المقدسي البشاري:

المرحلة = بريدين

البريد = ٦ أميال[٦]



تيسير خلف

دمشق في ١٢ آب من عام ٢٠٠٥م

٨ رجب ١٤٢٦ هـ

٦- في تقويم البلدان البريد ١٢ ميلاً.

جزيرة العرب

الأَبوا

قال في العزيزي: والأبوا بها آبار، وبينها وبين الجحفة تسعة وعشرون ميلاً[٧].

أَيْلَة

قال محمد بن الحسن المهلّبي: من الفسطاط إلى جب عُمَيرة ستة أميال، ثم إلى منزل يقال له عجرود وفيه بئر مَلِحة بعيدة الرشاء أربعون ميلاً، ثم إلى مدينة القُلْزَم[٨] خمسة وثلاثون ميلاً ثم إلى ماء يُعرَف بتجر يومان، ثم إلى ماء يعرف بالكرسي فيه بئر روّاء مرحلة، ثم إلى رأس عقبة أيلة مرحلة، ثم إلى مدينة أيلة مرحلة.

قال: ومدينة أيْلة جليلة على لسان من البحر الملح وبها مجتمع حج الفسطاط والشام، وبها قوم يذكرون أنهم من موالي عثمان بن عفان، ويقال إن بها بُرد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان قد

٧- تقويم البلدان، ص٨٢. وفي مادة الأبواء في معجم البلدان أنها قرية من أعمال الفُرْع من المدينة، بينها وبين الجُحفَة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً.

٨- قال ياقوت في مادة القُلزم " قُلّزم بلدة على ساحل بحر اليمن قرب أيلة والطور ومدْين وإلى هذه المدينة ينسب هذا للبحر وموضعها أقرَبُ موضع إلى البحر الغربي لأن بينها وبين الفَرَما أربعة أيام".

وهبه ليوحنةُ بن رؤبة لمّا سار إليه إلى تبوك؛ وخراج أيلة ووجوه الجبايات بها نحو ثلاثة آلاف دينار. وأيلة في الإقليم الثالث وعرضها ثلاثون درجة[9].

تَدمُر

قال في العزيزي: وبينها وبين دمشق تسعة وخمسون ميلاً، ومن تدمر إلى الرحبة مئة ميل وميْلان.

و قال في العزيزي أيضاً: وهي مدينة قديمة كثيرة الآثار العجيبة، يقال إن سليمان بن داود بناها[10].

تَيْماء

ومن الكتاب العزيزي قال: تَيْماء حاضرة طي، وبها الحصن المعروف بالأبلق، وينتسب إلى السموْل بن عادياء الذي يقول:

لنا جبل يحتله من نجيره	منيع يرد الطرف وهو كليل
هو الأبلق الفرد الذي سار ذكره	له غرر مشهورة وحجول[11]

٩- معجم البلدان، مادة أيلة، ويذهب بعض البلدانيين العرب لعدها أولى مدن الشام وآخر مدن الحجاز، غير أن صاحب تقويم البلدان يعدها من مدن جزيرة العرب.

١٠- تقويم البلدان، ص٨٩، ويصنفها أبو الفداء ضمن مدن جزيرة العرب. أما قوله إن سليمان بن داود بناها مقتبس عن الكتاب المقدس، سفر الملوك الأول، "وبنى سليمان جازر وبيت حورون السفلى وبعلة وتدمر في البرية". [الإصحاح العاشر (١٨)]

١١- تقويم البلدان، ص٨٧.

جُرَش

قال في العزيزي: وجُرش بلدة صالحة وحولها من شجر القرط ما لايحصى وبها مدابغ كثيرة وعرضها ست عشر درجة[١٢].

الجَمَّاءُ

وفي كتاب أبي الحسن المهلّبي: الجمّاء اسم هضبة سوداء. قال وهما جماهان، يعني هَضَبَتين من يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكة[١٣].

خَيْوان

قال في العزيزي: وخيوان طرف منازل بني الضحّاك من آل يعفر من أولاد التبابعة، وماؤها من السماء[١٤].

١٢- تقويم البلدان ص٩٥، بضم أولها، وهي مدينة من مخاليف اليمن من جهة مكة، حسب ياقوت الحموي الذي يذكر أيضاً وجود مدينة بالاسم نفسه في البلقاء وحوران بفتح أولها.

١٣- معجم البلدان، مادة الجماء.

١٤- تقويم البلدان ص٩٥. وفي معجم البلدان" خَيْوَانُ: بفتح أوله، وتسكين ثانيه، وآخره نون: مخلاف باليمن ومدينة بها؛ قال أبو علي الفارسي: خَيْوان فَيْعال منسوب إلى قبيلة من اليمن، وقال ابن الكلبي: كان يعوقُ الصنمُ بقرية يقال لها خَيْوان من صنعاءَ على ليلتين مما يلي مكة".

ذاتُ عرق

قال في العزيزي: وبين ذات عرق وعمرة ستة وعشرين ميلاً[١٥].

زَبيد

قال في العزيزي: ولها ساحل بعرف بعلافقة، و بينهما خمسة عشر ميلاً[١٦].

السرّين

قال في العزيزي: والسرّين مدينة على ساحل البحر بينها وبين مكة أربعة أيام كبار[١٧].

الشّبا

قال أبو الحسن المهلّبي: شبا واد بالأثيل من أعراض المدينة، فيه عين يقال لها خيف الشبا لبني جعفر بن إبراهيم من بني جعفر بن أبي طالب[١٨].

١٥- تقويم البلدان، ص٨٢. ويذكر أنها عن البصرة مائتان وثمان فراسخ وعن مكة ثمانية وأربعون ميلاً.

١٦- تقويم البلدان، ص٨٩. وينقل عن البيروني أنها فرضة أي ساحل اليمن.

١٧- تقويم البلدان، ص٩٣.

١٨- معجم البلدان، مادة شبا.

شِبَام (قصبة حضرموت)

قال في العزيزي: في الجبل المذكور سكان كثيرون، وهو ممتنع من كل ناحية، وهو مَعدن الحجر المعروف بالعقيق والجزع[19].

صُحَار (قصبة عُمان)

قال في العزيزي: وعُمان مدينة جليلة بها مرسى السفن من السند والهند والصين والزنج، والقصبة اسمها صُحَار وليس على بحر فارس[20] مدينة أَجَلُّ منها، وأعمالها نحو ثلاثمائة فرسخ وهي ديار الأزد[21].

صَعْدَة

قال الحسن بن محمد المهلّبي: صَعْدَة مدينة عامرة آهلة يقصدها التجّار من كل بلد وبها مدابغ الأدم وجلود البقر التي للنعال. وهي خصبة كثيرة الخير، وهي في الإقليم الثاني عرضها ست عشرة درجة وارتفاعها وجميع وجوه المال مائة ألف دينار ومنها

١٩- تقويم البلدان ص٩٧.

٢٠- وهو ما يسميه العرب اليوم الخليج العربي ، وهكذا يرد اسمه عند جميع الجغرافيين والبلدانيين العرب، ولا يقال له البحر الفارسي، بل بحر فارس نسبة للإقليم الذي يشرف عليه من جهة الشرق.

٢١- تقويم البلدان ص٩٩.

إلى الأعشبية قرية عامرة خمسة وعشرون ميلاً. ومنها إلى خَيوان أربعة وعشرون ميلاً[٢٢].

صَنْعاء

قال في العزيزي: مدينة صنعاء مدينة جليلة وهي قصبة اليمن، وبها أسواق جليلة ومتاجر كثيرة[٢٣].

عُسْفان

قال في العزيزي: وبين عسفان وبين الجحفة أحد وخمسون ميلاً، ومن عسفان إلى بطن مر ثلاثة وثلاثون ميلاً، ثم إلى مكة تسعة عشر ميلاً، فبين عسفان وبين مكة اثنان وخمسون ميلاً[٢٤].

فَيْد

قال في العزيزي: وفيد نصف طريق حجاج العراق. قال وبينها وبين الجبلين المعروفين بسلمى وأجا ستة وثلاثون ميلاً، والثعلبية ثلث طريق حجاج العراق[٢٥].

٢٢- معجم البلدان، مادة صعدة، ويرد تعريفها في تقويم البلدان كما يلي: "قال في العزيزي: وصعدة مدينة عامرة آهلة وبها مدابغ للأدم وجلود البقر التي للنعال، وهي خصبة ومنها إلى الأعشبية قرية عامرة خمسة وعشرون ميلاً، ومنها إلى خيوان أربعة وعشرون ميلاً" ص٩٥.

٢٣- تقويم البلدان، ص٩٥.

٢٤- تقويم البلدان، ص٨٢.

٢٥- تقويم البلدان، ص٩٧.

قَرْن

قال الحسن بن محمد المهلّبي: قرنٌ قرية بينها وبين مكة واحدٌ وخمسون ميلاً، وهي ميقات أهل اليمن، بينها وبين الطائف ذات اليمين ستة وثلاثون ميلاً[٢٦].

هَجَرُ

وفي العزيزي: عرضها أربع وثلاثون درجة وزعم أنها في الإقليم الثالث[٢٧].

الهَماءُ

في كتاب أبي الحسن المهلّبي الهماءُ موضع[٢٨].

اليمامة

وفي كتاب العزيزي: إنها في الإقليم الثالث، وعرضها خمس وثلاثون درجة[٢٩].

٢٦- معجم البلدان، مادة قرن.

٢٧- معجم البلدان، مادة هجر، ويذكر ياقوت أن كلمة هجر تعني قرية بلغة العرب العاربة، ويذكر أكثر من موضع في الجزيرة العربية بهذا الاسم.

٢٨- معجم البلدان، مادة الهماء، ويذكر ياقوت بأنها موضع بنعمان بين الطائف ومكة.

٢٩- معجم البلدان، مادة اليمامة، ويقول ياقوت "كان فَتحُها وقَتْلُ مسيلمة الكذاب في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١٢ للهجرة وفتحها أمير المسلمين خالد بن الوليد عنوة ثم صولحوا".

ديار مصر

أبوتيج

قال العزيزي: ومن أسيوط إلى أبوتيج أربعة وعشرون ميلاً، ومن أبو تيج إلى أخميم، مدينة قديمة على عنق البحر، أربعة وعشرون ميلاً[30].

أرْمَنت

قال في العزيزي: وبين أسوان وأرمنت مرحلتان، وبين أرمنت وقوص مرحلتان[31].

الأُشتُومُ

قال الحسن بن محمد المهلّبي في كتابه العزيزي: ومن تنيس إلى حصن الأشتوم، وفيه مَصبّ ماء البُحَيرة، إلى بحر الروم ستة فراسخ، ومن هذا الحصن إلى مدينة الفرما في البرّ ثمانية أميال، وفي البحيرة ثلاثة فراسخ.

٣٠- تقويم البلدان، ص ١١٥. وقال أبو الفداء إنها "تقع في برّ الغرب عن النيل في برّ أسيوط على بعض مرحلة وبأبوتيج الخشخاش الذي يصنع منه الأفيون"

٣١- تقويم البلدان، ص١١١.

ثم قال عند ذكر دمياط: ومن شمالي دمياط يَصُب النيل إلى البحر الملح في موضع يقال له الأشتوم، عرض النيل هناك نحو مئة ذراع، وعليه من حافَتيه سلسلة حديد وهذا غير الأول[٣٢].

بَنَا

قال أبو الحسن المهلّبي: من الفسطاط إلى بَنها ثمانية عشر ميلاً، وإلى صَنَهَشت بن زيد ثمانية أميال، وإلى مدينة بَنَا وهي مدينة قديمة جاهلية لها ارتفاع جليل، ومنها إلى سَمنود ميلان[٣٣].

بَنْهَا

قال أبو الحسن المهلّبي: من الفُسطاط إلى مدينة بَنْهَا، وهي على شُعبة من النيل وأكثرُ عسل مصر الموصوف بالجودة مجلوب منها ومن كورتها وهي عامرة حسنة العمارة، ثمانية عشر ميلاً[٣٤].

٣٢- معجم البلدان، مادة الأشتوم. ويضبطها ياقوت مضمومة الأول ثم السكون وتاء مثناة مضمومة والواو ساكنة وميم، ويقول إنها موضع قرب تِنيس.

٣٣- معجم البلدان، مادة بنا. ويقول ياقوت إنها بلدة قديمة بمصر وتضاف إليها كورة من فتوح عُمَير بن وهب.

٣٤- معجم البلدان، مادة بنها. ويضبطها ياقوت بكسر أولها وسكون ثانيها، ويقول إنها من قرى مصر يسمونها اليوم بَنها بفتح أولها.

تِنِّيس

قال الحسين بن محمد المهلّبي: أما تِنِّيس فالحال فيها كالحال في دمياط، إلا أنها أجل وأوسط وبها تُعمَل الثياب الملونة، والفرش البوقلمون، وبُحَيرتها التي هي عليها مقدار إقلاع يوم في عرض نصف يوم، ويكون ماؤها أكثر السنة ملحاً لدخول ماء بحر الروم إليه عند هبوب ريح الشمال، فإذا انصرف نيل مصر في دخول الشتاء وكثرَ هبوب الريح الغربية حلت البحيرة وحلا سيف البحر الملح مقدار بريدين حتى يجاوز مدينة الفرما، فحينئذ يخزنون الماء في جباب لهم ويعدونه لسنَتهم، ومن حذق نوَاتي البحر في هذه البحيرة، إنهم يقلعون بريح واحدة يريدون القلوع بها حتى يذهبوا في جهتين مختلفتين فيلقى المركب المركب مختلف السير في مثل لحظ الطرف بريح واحدة. قال وليس بتنيس هوَامٌ مؤذية لأن أرضها سبخة شديدة الملوحة[٣٥].

الجفار

قال أبو الحسن المهلّبي في كتابه الذي ألّفَه للعزيز، وكان موته في سنة ٣٨٦: وأعيان مُدُن الجفار، العريش، ورفحُ، والورّادة. والنخل في جميع الجفار كثير وكذلك الكروم وشجر الرمان،

٣٥- معجم البلدان مادة تنيس. ويرد في تقويم البلدان مختصراً : " قال في العزيزي: ومقدار بحيرتها إقلاع يوم في عرض نصف يوم، ويكون ماؤها في أكثر السنة مَلِحاً، لدخول ماء بحر الروم إليها عند هبوب الريح الشمالية ص١١٩.

وأهلها بادية محتضرون، ولجميعهم في ظواهر مُدُنهم أجنّة وأملاك وأخصاص فيها كثير منهم، ويزرعون في الرمل زرعاً ضعيفاً يؤدون فيه العشر، وكذلك يؤخذ من ثمارهم، ويقطع في وقت من السنة إلى بلدهم من بحر الروم طيرٌ من السلوَى يسمونه المرع[٣٦]، يصيدون منه ما شاء الله يأكلونه طرياً ويقتنونه مملوحاً، ويقطع أيضاً إليهم من بلد الروم على البحر في وقت من السنة جارح كثير فيصيدونه، منه الشواهين والصقور والبواشق، وقلّ ما يقدرون على البازي، وليس لصقورهم وشواهينهم من الفراهة ما لبواشقهم، وليس يحتاجون لكثرة أجنتهم إلى الحُرَّاس، لأنه لا يقدر أحد منهم أن يعدو على أحد لأن الرجل منهم إذا أنكر شيئاً من حال جنانه نظر إلى الوطء في الرمل ثم قفا ذلك إلى مسيرة يوم ويومين حتى يلحق من سرقه، وذكر بعضهم أنهم يعرفون أثر وطء الشاب من الشيخ والأبيض من الأسود والمرأة من الرجل والعاتق من الثيّب، فإن كان هذا حقاً فهو من أعجب العجائب[٣٧].

٣٦- في لسان العرب "المُرَعُ: طير صغار لا يظهر إلاّ في المطر شبيه بالدُّرّاجة، واحدته مُرَعة".

٣٧- معجم البلدان، مادة الجفار.

دمياط

قال الحسن بن محمد المهلّبي: ومن طريف أمر دمياط وتبيُّس أنَّ الحاكة[38] بها الذين يعملون هذه الثياب الرفيعة قبط من سفلة الناس وأوضعهم وأخسهم مطعماً ومشرباً، وأكثر أكلهم السمك المملوح والطريّ والصِّير[39] المنتن، وأكثرهم يأكل ولا يغسل يده ثم يعود إلى تلك الثياب الرفيعة الجليلة القدر فيبطش بها ويعمل في غزولها ثم ينقطع الثوب، فلا يشك مقلّبه للابتياع أنه قد بُخِّر بالندّ[40].

قال: ومن طريف أمر دمياط في قبليها على الخليج مستعمل فيه غرفٌ تعرف بالمعامل، يستأجرها الحاكة لعمل ثياب الشرب فلا تكاد تنجب إلا بها، فإن عمل بها ثوب وبقي منه شبر ونقل إلى غير هذه المعامل علم بذلك السمسار المبتاع للثوب، فينقص من ثمنه لاختلاف جوهر الثوب عليه[41].

٣٨- في لسان العرب قوم حاكة جمع الحائك.

٣٩- الصِّيْر المجفف.

٤٠- النّد ضرب من الطيب يدخّن به حسب لسان العرب.

٤١- معجم البلدان، مادة دمياط.

رشيد

قال في العزيزي: وهي على ضَفّتي النيل، والبحر المَلِح عنها ثمانية عشر ميلاً، وهي ثَغْر جليلٌ، ومنها على ساحل البحر إلى الإسكندرية ستة وثلاثون ميلاً[٤٢].

سَندفا

قال المهلّبي: المحلّة مدينة لها جانبان اسم أحدهما المحلّة والآخر سَنْدَفا[٤٣].

شَطا

قال الحسن بن محمد المهلّبي: على ثلاثة أميال من دمياط على ضفة البحر الملح، مدينة تعرف بشطا وبها وبدمياط يُعمل الثوب الرفيع، الذي يبلغ الثوب منه ألف درهم ولا ذهب فيه[٤٤].

طَنْتَثَنا

قال الحسين بن أحمد المهلّبي: من صُحنان إلى مدينة مَليج فرسخان وبينهما نهر يأخذ إلى غربي الرّيف إلى طَنْتَثَنا حتى يصبّ

٤٢- تقويم البلدان، ص ١١٧.

٤٣- معجم البلدان، مادة سندفا. وضبها كما يلي: بالفتح ثم السكون وبعد الدال المفتوحة فاء، قال إنها بُليدة من نواحي مصر.

٤٤- معجم البلدان، مادة شطا. وضبطها كمايلي: بالفتح، والقصر، وقيل شطاة. وقال إنها بُليدة بمصر، ينسب إليها الثياب الشَّطَوية.

في بحر المحلّة، وهي من كورة الغربية، بينها وبين المحلّة ثمانية أميال[45].

العَريش

قال الحسن بن محمد المهلّبي: من الوَرّادة إلى مدينة العريش ثلاثة فراسخ.

قال: ومدينة العريش مدينة جليلة وهي كانت حرس مصر أيام فرعون، وهي آخر مدينة تتصل بالشام من أعمال مصر ويتقلدها والي الجفار وهي مستقرّة، وفيها جامعان ومنبران، وهواؤها صحيح طيبٌ، وماؤها حلوٌ عذبٌ، وبها سوق جامع كبير وفنادق جامعة كبيرة ووكلاء للتجار ونخل كثير، وفيها صنوف من التمور ورمّان يُحمل إلى كل بلد بحَسَبه، وأهلها من جُذام.

قال: ومنها إلى بئرَيْ أبي إسحاق ستة أميال، وهما بئران عظيمتان تَرِدُ عليهما القوافل وعندهما أخصاص فيها باعة، ومنها إلى الشجرتين وهي أول أعمال الشام ستة أميال، ومنها إلى البرمكية ستة أميال ثم إلى رَفَح ستة أميال[46].

٤٥- معجم البلدان، مادة طَنْتَنا. وقال ياقوت إنها من قرى مصر على النيل المفضي إلى المحلّة. وتسمى في عصرنا الراهن طنطا.

٤٦- معجم البلدان، مادة العريش. ويعدها كثير من الجغرافيين والبلدانيين العرب آخر مدن الشام من جهة مصر.

العَلاَّقي

قال في العزيزي: إذا أخذت من أسوان في سمت الشرق تصل إلى العلاقي بعد اثنتي عشرة مرحلة، وبين العلاقي وعيذاب ثمان مرحلات، ومن العلاقي يدخل الإنسان بلاد البجا[٤٧].

الفَرَمَا:

قال الحسن بن محمد المهلّبي: وأما الفرَما فحصن على ضفّة البحر لطيفٌ لكنه فاسدُ الهواء وَخِمُهُ، لأنه من كل جهة حوله سباخٌ تتوحّل فلا تكاد تنْشُب صيفاً ولا شتاء، وليس بها زرع ولا ماء يُشرب إلا ماء المطر فإنه يخزَن في الجباب، ويخزنون أيضاً ماء النيل يُحمل إليهم في المراكب من تنّيس، وبظاهرها في الرمل ماء يقال له العُذَيب ومياه غيره في آبار بعيدة الرشاء وملحة تنزل عليها القوافل والعساكر، وأهلها نحافُ الأجسام متغيّرو الألوان، وهم من القبط وبعضهم من العرب من بني جَرَى وسائر جُذَام، وأكثر متاجرهم في النوَى والشعير والعَلَف لكثرة اجتياز القوافل بهم، ولهم بظاهر مدينتهم نخل كثير له رُطَبٌ فائقٌ وتمرٌ حسنٌ يجهَّز إلى كل بلد[٤٨].

٤٧- تقويم البلدان، ص ١٢١.

٤٨- معجم البلدان، مادة الفرما.

الفَيّوم

قال في العزيزي: وبين الفسطاط والفيّوم ثمانية وأربعون ميلاً[49].

القَسُّ

قال الحسن بن محمد المهلّبي المصري: الطريق من الفَرَما إلى غزّة على الساحل من الفَرما إلى رأس القس وهو لسان خارجٌ في البحر وعنده حصن يسكنه الناس ولهم حدائق وأجنّةٌ وماءٌ عذب ويزرعون زرعاً ضعيفاً بلا ثَوْر ميلاً، وهذا يؤيد ما حكاه لي المقدم ذكره، وكان الحاكي لهذا قد صنّف للعزيز صاحب مصر كتاباً، وكانت ولايته في سنة ٣٦٥، ووفاته في سنة ٣٨٦[50].

القُلْزُمُ

قال المهلّبي: ويتصل بجبل القلزم جبل يوجد فيه المغناطيس، وهو حجر يجذب الحديد وإذا دُلِكَ ذلك الحجر بالثوم بطل عمله فإذا غُسل بالخل عاد إلى حاله[51].

٤٩- تقويم البلدان، ص ١١٥.

٥٠- معجم البلدان، مادة القس.

٥١- معجم البلدان، مادة القلزم. ، وبحر القلزم هو البحر الأحمر في أيامنا.

مدينَةُ مِصرَ

ذكر محمد بن الحسن المهلّبي في كتاب «العزيزي»: ومن مشاهير خطط مصر خطة عبد العزيز بن مروان، وهي التي في سوق الحمام غربي الجامع تسمى الآن المدينة[52].

مَشتُولُ

قال المهلّبي: مر بينهما طريقان فالأيمن منهما إلى مشتول الطواحين وهي مدينة حسنة العمارة جليلة الارتفاع بها عدّة طواحين تطحن الدقيق الحوّارَي وتجهَز إلى مصر[53].

٥٢- معجم البلدان، مادة مدينة مصر.

٥٣- معجم البلدان، مادة مشتول، ويضبطها كما يلي: بالفتح ثم السكون وتاء مثناة من فوقها وواو ساكنة ولام. ويذكر أنهما قريتان مشتول الطواحين ومشتول القاضي وكلتاهما من كورة الشرقية.

ولاة مصر

قال المهلّبي: كان عمرو بن العاص افتتح أرض مصر في سنة عشرين، فأقام واليها إلى سنة أربع وعشرين.

ثم تقلّدها عبد الله بن أبي سرح.

ثم تقلّدها محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة.

ثم قيس بن سعد بن عبادة، رحمه الله.

ثم محمد بن أبي بكر رحمه الله[٥٤].

ثم عمرو بن العاص.

ثم معاوية بن حديج السكوني.

ثم عتبة بن أبي سفيان.

ثم عقبة بن عامر الجهني.

ثم مسلمة بن مخلد الأنصاري.

ثم سعيد بن يزيد الأزدي.

ثم عبد العزيز بن مروان.

٥٤- يخص المهلّبي هنا قيس بن سعد بن عبادة ومحمد بن أبي بكر بالترحّم عليهما من جميع ولاة مصر الذين يذكرهم، والسبب أنهما كانا من أنصار الإمام علي بن أبي طالب في معركة الخلافة مع معاوية.

ثم عبد الله بن عبد الملك بن مروان.

ثم قرّ بن شريك.

ثم عبد الله بن رفاعة.

ثم أيوب بن شرحبيل.

ثم بشر بن صفوان.

ثم حفص بن الوليد.

ثم عبد الملك بن المغيرة بن عبد الله بن عبد الملك.

ثم صالح بن علي بن عبد الله بن العباس.

ثم أبو عون عبد الملك بن يزيد.

ثم موسى بن كعب.

ثم حميد بن قحطبة.

ثم يزيد بن حاتم المهلّبي.

ثم إبراهيم بين يزيد الحميري.

ثم عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج.

ثم محمد بن [عبد الرحمن بن] معاوية بن حديج.

ثم واضح مولى أبي جعفر.

ثم سالم بن سوادة.

ثم إبراهيم بن صالح بن علي.

ثم موسى بن مصعب.

ثم الفضل بن صالح بن علي.

ثم مسلمة بن يحيى.

ثم محمد بن زهير.

ثم داود بن يزيد بن حاتم المهلّبي.

ثم موسى بن عيسى بن موسى.

ثم إبراهيم بن صالح بن علي.

ثم عبد الله بن المسيّب.

ثم إسحاق بن سليمان.

ثم هرثمة بن أعين.

ثم إسماعيل بن صالح بن علي.

ثم إسماعيل بن عيسى بن موسى.

ثم أحمد بن إسماعيل.

ثم عبيد الله بن محمد بن إبراهيم.

ثم مالك بن دلهم.

ثم حاتم بن هثرمة.

ثم عبد المطلب بن عبد الله.

ثم سليمان بن غالب.

ثم السرب بن الحكم.

ثم عبيد الله بن السري.

ثم عبد الله بن الطاهر.

ثم محمد بن هارون، المعتصم.

ثم علي بن يحيى الأرمني.

ثم عنبسة بن إسحاق.

ثم يزيد بن عبد الله بن دينار.

ثم مزاحم بن خاقان.

ثم أحمد بن طولون.

ثم خمارويه بن أحمد.

ثم النوشري.

ثم ابن بسطام على الحرب والخراج.

ثم تكين.

ثم هلال بن بدر.

ثم أحمد بن كيغلغ.

ثم محمد بن تكين.

ثم محمد بن طغج.

ثم أنوجور بن محمد.

ثم علي بن محمد بن طغج.

ثم كافور مولى محمد بن طغج.

ثم وليها جوهر الرومي، قائد المعز لدين الله وعبده، في سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة. واختط القاهرة المعزية. فأقام بها والياً. حتى قدم المعز في سنة إحدى وستين وثلاث مئة. ثم توفي في سنة خمس وستين وثلاث مئة[55].

٥٥- مخطوطة الأمبروزيانا التي حققها العلاّمة صلاح الدين المنجّد ونشرها في مجلة معهد المخطوطات العربية عام ١٩٥٨، وقد أضاف المنجّد أسماء ولاة مصر الذين لم يذكرهم المهلّبي نقلاً عن المقريزي، ولم نرَ داعٍ لذلك هنا، ويلاحظ أن المهلّبي لم يذكر اسم العزيز بالله الفاطمي الذي وضع الكتاب له أصلاً.

بلاد المغرب

أطرابلس الغرب

قال في العزيزي وهي مرسى للمراكب[٥٦].

أودغست

قال في العزيزي: إن لأودغست أعمالاً واسعة وهي حارّة جداً. قال وأمطارهم في الصيف، ويزرعون عليه الحنطة والدّخن والذرة واللوبيا والكرسنّة. والنخل ببلادهم كثير جداً وليس ببلادهم من الفاكهة غير التين. وببلادهم شجر الحجار كله من الصنط والمقل وغيرهما.

قال: وهي مدينة بين جبلين وهي مصر من الأمصار الجليلة وهي جنوبي مدينة سجلماسة بينهما نيِّف وأربعون مرحلة في رمال ومفاوز على مياه معروفة.

قال: ولها أسواق جليلة والسفر متصل إليها من كل بلد، وأهلها مسلمون والمتولّي عليها صنهاجة وشرقيها بلاد السودان وأما غربي بلادها فالبحر المحيط وجنوبيهم حدود السودان[٥٧].

٥٦- تقويم البلدان، ص ١٤٧. وقال أبو الفداء "وأطرابلس آخر المدن التي في شرقي القيروان، وإذا فارقتَ أطرابلس مشرقاً لا تلتقي مدينة فيها حمام حتى تصل إلى الاسكندرية".

٥٧- تقويم البلدان، ص١٢٥.

وقال المهلّبي: أوذغست مدينة بين جبلين في قلب البر. جنوبي مدينة سجلماسة بينهما نيِّف وأربعون مرحلة في رمال ومفاوز[٥٨] على مياه معروفة وفي بعضها بيوت البربر، وأوذغست بها أسواق جليلة وهي ومصر من الأمصار جليل، والسفر إليها متصل من كل بلد وأهلها مسلمون يقرأون القرآن ويتفقهون، ولهم مساجد وجماعات أسلموا على يد المهدي عبيد الله وكانوا كفّاراً يعظّمون الشمس ويأكلون الميتة والدم. وأمطارهم في الصيف، يزرعون عليها القمح والدّخن والذرة واللوبياء، والنخل ببلدهم كثير. وفي شرقيهم بلاد السودان، وفي غربيهم البحر المحيط، وفي شماليهم منفتلاً إلى الغرب بلاد سجلماسة، وفي جنوبيهم بلاد السودان[٥٩].

بَرْقة

قال في العزيزي: ولبرقة جبلان، فيها عدة ضياع نفيسة وعيون ماء جارية ومزارع. وآثار بناء للروم جليل، وأسعارها على سائر الأوقات رخيصة جداً، ويجهز منها إلى مصر القطران والشراب والضان الكثير. قال: ولها ساحل ترسي [ترسو] به المراكب يقال له

٥٧- تقويم البلدان، ص١٢٥.

٥٨- كل أرض جرداء قاحلة مهلكة تسمى مفازة وجمعها مفاوز.

٥٩- معجم البلدان، مادة أوذغست. ويكتبها أبو الفداء بالدال بينما ترد عند ياقوت بالذال.

أجية، ولها مدينة بها منبر وسوق وعدة محارس على ستة أميال من برقة، وساحل آخر يقال له طلميثة[60].

قال في العزيزي: وهي مرج أفيح واسع، وتربتها حمراء وبُنِيَ السور عليها أيام المتوكّل[61].

بنزرت

قال العزيزي في أمر البحيرتين المذكورتين (بحيرتي بنزرت) : إنه إذا جاء الشتاء وكثرت السيول على البحيرة الحلوة، فاضت على المالحة ومدّتها، وإذا جاء الصيف قلّ المدُّ عنها وغارت واشتغلت عن المالحة، فتمدُّ المالحة إلى أيام السيول[62].

بونة

قال في العزيزي: ومدينة بونة هذه مدينة جليلةٌ عامرة على البحر، خصبة الزرع، كثيرة الفواكه، رخية، بظاهرها معادنٌ الحديد، ويُزرع بها كتّان كثير، وحدث بها عن قريب مغاص على المرجان ليس كمرجان مرسى الخرز[63].

٦٠- تقويم البلدان، ص١٢٨-١٢٧.

٦١- تقويم البلدان ، ص١٤٩. وبرقة مدينة معروفة اليوم في ليبيا.

٦٢- تقويم البلدان، ص١٤٣. ويضبطها بتقديم النون على الباء، وهي من مدن تونس المعروفة اليوم.

٦٣- تقويم البلدان، ص ١٤١.

تاهرت

قال المهلّبي: بين أشير وتاهرت أربع مراحل، وهما تاهرتان القديمة والحديثة. ويقال للقديمة: تاهرت عبد الخالق[٦٤].

قال العزيزي، تاهرت القديمة هي تاهرت عبد الخالق، وبينها وبين تاهرت الجديدة مرحلة، وهي مدينة جليلة وكانت قديماً تسمى عراق المغرب، ولها من أعمالها مرسى على البحر، يقال له مرسى فروخ ومدينة تاهرت (كذا) الأولة [الأولى] على جبل متوسط، وبها منبر، وكذلك المحدثة بها منبر، وهي أعظم من القديمة ولأهلها مياه تتخرق دورهم[٦٥].

تونس

قال العزيزي: ومدينة تونس مدينة جليلة قديمة البناء، ولها مياه ضعيفة جارية يزرع عليها، وهي كثيرة الغلاّت خصبة، وجبل زغوان بالقرب منها وهو عنها في جهة الغرب بميلة إلى الجنوب على مسيرة يومين وهو بفتح الزاي وسكون العين المعجمتين وفتح الواو وثم ألف ونون[٦٦].

٦٤- معجم البلدان، مادة تاهرت.

٦٥- تقويم البلدان، ص١٢٤. وهي من مدن الجزائر المعروفة في أيامنا.

٦٦- تقويم البلدان، ص ١٤٣. وضبط اسم جبل زغوان من أبي الفداء كما يبدو.

زَوِيلة

قال في العزيزي: ومدينة زويلة مدينة كثيرة النخل، وزرع أهلها يُسقى من الآبار[٦٧].

سوسة

قال في العزيزي: وبين المهدية وبين مدينة سوسة مرحلتان. وسوسة مدينة أزلية بها سوق وفنادق وحمّامات، وهي على البحر الملح، وهي حد بين كورة الجزيرة وبين القيروان[٦٨].

طبنة

وطبنة مدينة عظيمة كثيرة المياه والبساتين والأهل والزروع وأكثر زرعهم سقي وأكثر غلاّتهم القطن[٦٩].

غذامس

قال في العزيزي: مدينة غذامس مدينة جليلة عامرة. في وسطها عين أزلية عليها أثر بنيان رومي عجيب، ويفيض الماء منها، ويقتسمها أهل المدينة بأقساط معلومة، وعليه يزرعون، وأهلها قوم

٦٧- تقويم البلدان، ص١٤٧. ويقول ابن سعيد المغربي إن زويلة قاعدة بلاد فزّان ويذكر ياقوت أسماء عدد من المواضع يحمل اسم زويلة واحد وسط الصحراء الكبرى، وفي بلاد السودان، وفي إفريقية أي تونس واسمها زويلة المهدية وهناك محلّة في القاهرة وباب باسم زويلة.

٦٨- تقويم البلدان، ص ١٤٥.

٦٩- تقويم البلدان، ص١٣٩ ، ويرد ذكرها في سياق الحديث عن المسيلة.

من البربر مسلمون، ولهم مسجد جماعة، وليس لهم رئيس ومرجعهم إلى مشائخهم[٧٠].

قابس

قال في العزيزي: وعليها سور وخندق، ومنها في سمت الجنوب إلى غدامس أربع عشرة مرحلة[٧١].

القَيروان

قال في العزيزي: ومدينة القيروان أجلُّ مدن المغرب، وكان عليها سور عظيم فهدمه زيادة الله بن الأغلب لما ثار على عمار بن مجالد، وشرب أهلها من ماء المطر يجتمع لها من الشتاء في برك عظام تسمى المواجل، ولهم واد في قبلة المدينة يأتي فيه ماء ملح يستعمله الناس فيما يحتاجونه[٧٢].

٧٠- تقويم البلدان، ص١٤٧. وقال ياقوت " بفتح أوله ويضم، وهي عجمية بربرية فيما أحسب: وهي مدينة بالمغرب ثم في جنوبيّه ضاربة في بلاد السودان بعد بلاد زافُون، تدبغ فيها الجلود الغدامسية وهي من أجود الدباغ لا شيء فوقها في الجودة كأنها ثياب الخز في النعومة والإشراق، وفي وسطها عين أزليّة وعليها أثر بنيان عجيب روميّ يفيض الماء فيها ويقسمه أهل البلدة بأقساط معلومة لا يقدر أحد أن يأخذ أكثر من حقه وعليه يزرعون، وأهلها بربر يقال لهم تناوريّة".

٧١- تقويم البلدان، ص١٤٣. وحول قابس قال ياقوت" قَابِسُ: إن كان عربياً فهو من أقْبَسْتُ فلاناً علماً وناراً أو قَبسته فهو قابِسٌ، بكسر الباء الموحدة: مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية على ساحل البحر فيها نخل وبساتين غربي طرابلس الغرب، بينها وبين طرابلس ثمانية منازل، وهي ذات مياه جارية من أعمال إفريقية" أي تونس.

٧٢- تقويم البلدان ص١٤٥. وتقع في تونس اليوم.

المسيلة

قال في العزيزي: ومدينة المسيلة محدثة أحدثها القائم بالله الفاطمي سنة خمس عشرة وثلاثمائة، وسماها المحمدية، ومنها إلى مدينة طبنة أربعة وعشرون فرسخا[٧٣].

مرماجنة

قال المهلّبي: بين مرماجَنة والأربس مرحلة[٧٤].

٧٣- تقويم البلدان، ص١٣٩. وتقع إلى الشمال من مدينة بسكرة في الجزائر.

٧٤- معجم البلدان، مادة مرماجنة، ويضبطها ياقوت بالفتح ثم السكون وبعد الألف جيم ونون مشددة. ويذكر أنها قرية بإفريقية لهوارة قبيلة من البربر عن أبي الحسن الخوارزمي.

بلاد السودان

أكْسِنْتِلا

قال أبو الحسن المهلّبي: أكْسِنْتِلا مدينة عظيمة جليلة، وهي مملكة لرجل من هَوَارَةَ من البربر يقال له سَهل بن الفهْري، مسلم وله سلطان عظيم على أُمم من البربر في بلاد لا تُحْصَى كثرة، وتُطيعه أحسن طاعة.

قال: وسمعت غير محصّل يذكر أنه إذا أراد الغَزْوَ ركب في ألف ألف راكبٍ فرسٍ نجيب وجَمَلٍ.

قال: وبأكسنتلا أسواق ومجامع، وبظاهرها عمارة فيها جميع الفواكه من الكروم وشجر التين، والأغلب على ذلك النخل، وبها منبرٌ ومسجد للجماعة وقوم يقرأون القرآن، وزروعهم على المطر.

قال: ومن اكسنتلا طريقان، فطريق الشمال في حد المشرق، وسمتُهُ إلى بلاد الكنز الآتيين من السُّودان، مسيرة خمسة أيام[٧٥].

٧٥- معجم البلدان، مادة أكسنتلا. ويذكر ياقوت أن أنها مدينة في جنوبي إفريقية (تونس الحالية)، أي أنها تقع في الصحراء الكبرى.

زغاوةُ

وقال المهلّبي: و لزغاوة مدينتان يقال لإحداهما مانان وللأخرى ترازكي، وهما في الإقليم الأول، وعرضهما إحدى وعشرون درجة.

قال: ومملكة الزغاوة مملكة عظيمة من ممالك السودان في حدّ المشرق منها مملكة النوبة الذين بأعلى صعيد مصر بينهم مسيرة عشرة أيام، وهم أُمَمٌ كثيرة، وطول بلادهم خمس عشرة مرحلة في مثلها في عمارة متصلة، وبيوتهم جصوص كلّها وكذلك قصر ملكهم، وهم يعظمونه ويعبدونه من دون الله تعالى ويتوهمون أنه لا يأكل الطعام، ولطعامه قَوَمَةٌ عليه سراً يدخلونه إلى بيوته لا يعلم من أين يجيئونه به، فإن اتفق لأحد من الرعية أن يلقى الإبل التي عليها زاده قتل لوقته في موضعه، وهو يشرب الشراب بحضرة خاصة أصحابه، وشرابه يُعمل من الذّرَة مقوّى بالعسل، وزيّه لبس سراويلات من صوف رقيق والاتشاح عليها بالثياب الرفيعة من الصوف الأسماط والخزّ السوسي والديباج الرفيع، ويده مطلقة في رعاياه ويسترقّ من شاء منهم، أمواله المواشي من الغنم والبقر والجمال والخيل، وزروع بلدهم أكثرها الذرة واللوبياء ثم القمح، وأكثر رعاياه عراة مؤتزرون بالجلود، ومعايشهم من الزروع واقتناء المواشي، وديانتهم عبادة ملوكهم يعتقدون أنهم الذين يحيون

ويميتون ويمرضون ويصحّون، وهي من مدائن البلماء وقصبة بلاد كاوار على سمت الشرق منحرفاً إلى الجنوب[٧٦].

قال في العزيزي: ومن دنقلة إلى بلاد زغاوة في سمت الغرب عشرون مرحلة[٧٧].

كُوكُو

قال المهلّبي: كوكو من الإقليم الأول وعرضها عشر درج وملكهم يظاهر رعيته بالإسلام وأكثرهم يظاهر به، وله مدينة على النيل من شرقيه اسمها سرناة بها أسواق ومتاجر، والسفرُ إليها من كل بلد متصل، وله مدينة على غربي النيل سكنها هو ورجاله وثقاته، وبها مسجد يصلي فيه؛ ومصلى الجماعة بين المدينيتن، وله في مدينته قصر لا يسكنه معه أحد ولا يلوذ فيه إلا خادم مقطوع، وجميعهم مسلمون وزيُّ ملكهم ورؤساء أصحابه القمصان والعمائم، ويركبون الخيل أعراء ومملكته أعمر من مملكة زغاوه، وبلاد الزغاوة أوسع؛ وأموال أهل بلاده الأموال المواشي، وبيوت أموال الملك واسعة وأكثرها الملح[٧٨].

٧٦- معجم البلدان، مادة زغاوة، وضبطها ياقوت بفتح أولها وفتح الواو، وقال إنه بلد في جنوبي إفريقية بالمغرب وقيل قبيلة من السودان جنوبي المغرب.

٧٧- تقويم البلدان، ص١٥٩.

٧٨- معجم البلدان، مادة كوكو. ويؤكد ياقوت أن كوكو هو اسم أمة وبلاد من السودان. وينقل صاحب تقويم البلدان بشكل مختصر عن المهلّبي: قال في العزيزي وعرض كوكو عشر درج قال وهم مسلمون ص ١٥٧.

جزيرة الأندلس

سَمُّورة

قال في العزيزي: مدينة سمورة مدينة جليلة من مدن الجلالقة وبها مستقر ملكهم الآن[٧٩].

شنتياقو

قال في العزيزي: ومدينة شنتياقو مدينة جليلة من مدن الجلالقة، بينها وبين البحر المحيط يوم واحد[٨٠].

ليون

قال في العزيزي: هي المصر الأعظم وأجل مدن الجلالقة. قال الجلالقة صباح الوجوه أشدّ الأبدان، ومن ليون إلى ساحل بحر الظلمات، أعني المحيط، أربع مراحل غرباً. وقال في العزيزي أيضاً: ويتصل ببلاد الأندلس من جهة الشمال بلاد الجلالقة وهم نصارى ولهم مملكة منفردة عن الروم الفرنجة[٨١].

٧٩- تقويم البلدان، ص١٨٥. وهي قاعدة بلاد الجلالقة المتاخمة لبلاد الأندلس وكان المسلمون قد ملكوها ثم استعادها الجليقيون بالفتنة حسب قول ابن سعيد المغربي الذي ينقل عنه صاحب تقويم البلدان. وفي معجم البلدان: "سَمُّورَةُ: بفتح أوله، وتشديد ثانيه وضمّه، وبعد الواو راء: مدينة الجلالقة، وقيل سَمُرَة".

٨٠- تقويم البلدان، ص ١٨٣، ومن الواضح أنها تعريب لسانتياغو.

٨١- تقويم البلدان، ص١٨٥.

الجانب الشمالي من الأرض

أرطنوج

قال في العزيزي: ومدينة الأبخاز العظمى تعرف بأرطنوج[٨٢].

بلاد البلغار

قال في العزيزي: إن على يمين بلاد البلغار في نحو الجنوب مملكة الكاساق أمة بين الأبخاز وبين اللان[٨٣]، ثم يصير على يمين بلاد البلغار. وفي الجنوب مملكة اللان إلى آخر حد البلغار ثم يتصل بعد ذلك من نحو الجنوب بمملكة الخزر وهو آخر حد البلغار لإفضائه إلى أمة يقال لها المروسية جيل من البلغار شداد عظائم الخلق لايقوم للرجل منهم عشرة من أشد غيرهم جاهلية، يعبدون الشمس، وفي شرق المروسية إلى بلاد الروسية وفي شمالي الصقالبة[٨٤] مفاوز لا عمارة فيها إلى البحر المحيط ولايسكن لشدة

٨٢- تقويم البلدان، ص ٢٠٣. والأبخاز قوم من الشراكسة (الأديغا) يتردد ذكرهم في كتب البلدانيين العرب المسلمين وقد خصّهم صاحب كتاب تاريخ ميافارقين بصفحات كثيرة من مقدمة كتابه شرح فيها أحوالهم وأحوال ممالكهم التي كانت قائمة في زمنه.

٨٣- شعب من شعوب القفقاس يسميهم الشراكسة، القوشحة، وهم من أصول فارسية بلادهم الآن أوسيتيا بشقيها الجنوبية والشمالية.

٨٤- الصقالبة هم السلاف.

البرد الذي بها إلى نحو الروسية وهم أمة من الأتراك يتصلون بالشرق بالغُزِّيّة[85] من الأتراك[86].

جبل القيتق

ومن العزيزي قال: ويقال له جبل الألسن، لأن فيه أمماً لغاتهم مختلفة، قيل إنهم أهل ثلاثمائة لغة، وفي جانبه الشمالي القيتق وهم جنس، وفي جانبه الجنوبي اللكزي وهم جنس أيضاً، ويمتد من باب الأبواب[87] إلى بلاد الروم[88] نحو مسيرة شهر. وجانبه الجنوبي كالحائط لا طريق فيه كأنه نُحِت بقدّوم، وعرضه مسيرة عشرة أيام ولا يسلك إلى بلاد الترك إلا بين ساحل بحر الخزر وبين طرف الجبل، وبين طرفه والبحر ثلاثة أميال، وبنى هناك أنوشروان حائطاً بالصخر والرصاص بعد صلحه واتفاقه مع ملك الخزر على ذلك، وجعل في ذلك الحائط باباً ومصراعيه من الحديد في قديم الزمان، فعرف بباب الحديد بسبب ذلك. وفي أثناء هذا الجبل

٨٥- الغُزِّيّة هم التركمان.

٨٦- تقويم البلدان، ص ٢٠٧. البلغار المذكورون هنا أحد شعوب جبال القفقاس لم يعد لهم وجود الآن، علماً أن شعباً طورانياً يتواجد الآن في المنطقة ذاتها تقريباً اسمه البلغار.

٨٧- باب الأبواب هي مدينة الدربند في داغستان حالياً.

٨٨- المقصود ببلاد الروم تركيا الحالية.

مسالك عشرة، وأكبرها مسلك في وسطه بنى عليه أيضاً سوراً وجعل فيه باباً يسمى باب اللان[89].

رومية

قال المهلّبي: ومدينة رومية مدينة عظيمة، وتتصل بها الجبال من جهة الغرب والجنوب، وشرقيها سهل والبحر في شماليها[90].

قسطنطينية

قال في العزيزي: وخليج قسطنطينية إذا جاوزها إلى الجنوب ضاق حتى يصير عرضه رمية سهم عند موضع يقال له أندس.

قال في العزيزي: والخليج يطوف بقسطنطينية من شرقيها وشماليها، وأما جانبها الغربي والجنوبي ففي البر، ولها في هذين الجانبين نحو مئة باب. قال: ولقسطنطينية أربعة عشر أعمالاً [عملاً] في غربي الخليج وشرقيه[91].

٨٩- تقويم البلدان، ص ٧١-٧٢. وقال أبو الفداء: إنه يمتد من ساحل بحر الخزر بالقرب من مدينة باب الأبواب إلى جهة الجنوب، وهو ما يسمى في زمننا بجبال القفقاس. وفي كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي، يذكر الجبل ذاته باسم جبل الكبكز الكبير، ويصفه أيضاً بأنه جبل الألسن، وينسبه إلى شعب مسلم اسمه الكبكز كان يسكن على شاطئ البحر الأسود، ومن الواضح أن ابن سعيد هو أول من أطلق اسم الكبكز أي القفقاز معرّبة على هذا الجبل في المصادر العربية.

٩٠- تقويم البلدان، ص٢١١. وهي مدينة روما.

٩١- تقويم البلدان، ٢٠٠.

قال في العزيزي: وارتفاع سور القسطنطينية واحد وعشرون ذراعاً ولها أربع عشرة معاملة[٩٢].



٩٢- تقويم البلدان، ص ٢١٣.

ذكر الشام

أذرعات

قال العزيزي: وأذرعات مدينة كورة البثنية[٩٣]، مثلما أن نوى مدينة كورة الجيدور، وبين أذرعات وبين عمّان أربعة وخمسون ميلاً، وبينها أيضاً وبين الصنمين ثمانية عشر ميلاً لوالصنمين تثنية صنم وهي قاعدة ولاية وعمل]، ومن الصنمين إلى الكسوة لبضم الكاف وسكون السين المهملة وواو وهاء]، وهي ضيعة ومنزل يمر بها نهر الأعوج اثنا عشر ميلاً، ومن الكسوة إلى دمشق اثنا عشر ميلاً، وبينهما عقبة لطيفة تعرف بعقبة شحوره لبضم الشين المعجمة والحاء المهملة ثم واو وراء مهملة وهاء في الآخر]. والكسوة عن دمشق في جهة الجنوب[٩٤].

أرسوف

قال العزيزي: وبينها وبين الرملة اثنا عشر ميلاً.

قال: وبينها وبين يافا ستة أميال.

قال: وأرسوف مدينة على البحر لها سوق وعليها سور.

٩٣-كورة البثنية تعريب لاسم المقاطعة الروماني باتانيا، وتضم الآن معظم أراضي محافظة درعا.

٩٤- تقويم البلدان، ص ٢٥٣. والواضح أن تسمية الجيدور كان معروفة منذ القرن الرابع الهجري.

وقال أيضاً: ومن أرسوف إلى قيسارية ثمانية عشر ميلاً[٩٥].

أريحا

قال في العزيزي: هي أول مدينة فتحها يوشع بن نون من أعمال الشام[٩٦]، على أربعة أميال منها مشرقاً نهر الأردن. ويزعم النصارى أن المسيح تعمّد في ذلك الموضع، وعندها مقالع الكبريت وليس بفلسطين مَعْدن غيره.

قال: وبأريحا يزرع الوسمة فيعمل منها النيل، وبينها وبين بيت المقدس اثنا عشر ميلاً في جهة الغرب[٩٧].

أفَامية

قال في العزيزي: وكورة أفامية لها مدينة كانت عظيمة قديمة، على نشز من الأرض، لها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب[٩٨].

أنطاكية

وقرأت في كتاب «المسالك والممالك» للحسن بن أحمد المهلّبي العزيزي، وضعه للعزيز الفاطمي المستولي على مصر، قال: فأما مدينة أنطاكية فهي مدينة العواصم، وهي مدينة جليلة فتحها أبو

٩٥- تقويم البلدان، ص٢٣٩.

٩٦- تحتل قصة احتلال أريحا الإصحاحات الستة الأولى من سفر يشوع بن نون في الكتاب المقدس.

٩٧- تقويم البلدان، ص٢٣٦.

٩٨- تقويم البلدان، ص٢٦٣.

عبيدة بن الجرّاح، وأسكنها المسلمين، وهي من الإقليم الرابع، وعرضها خمس وثلاثون درجة، وهي مدينة عظيمة ليس في الإسلام، ولا في بلد الروم مثلها، لأنها في لحف جبل، هو من شرقها مطل عليها، لا تقع عليها الشمس إلا بعد ساعتين من النهار، وعليها سور من حجارة يدور بسهلها، ثم يطلع إلى نصف الجبل، ثم إلى أعلاه، ثم ينزل حتى يستدير عليها من السهل أيضاً، وفي داخل السور عراص كثيرة في الجبل ومزارع وأجنة وبساتين، ويتخرق الماء من عيون له في الجبل مقناة إلى المدينة والأسواق والمنازل، كما يتخرق مدينة دمشق، وأبنيتها كلها بالحجر، والفواكه والزهر بها كالمجان[99]، ومساحة دور السور إثنا عشر ميلاً، وبها كنيسة القسيان، وهي كنيسة جليلة عظيمة البناء والقدر عند النصارى، ويقال إن بها كف يحيى بن زكريا عليه السلام، وبرسمها بطريق[100]، وتجلّ النصارى قدره، لها أعمال واسعة من المشرق إلى المغرب، وأهلها الغالبون عليها قوم من الفرس، وقوم من ولد صالح بن علي ومواليه، وأهلها أحسن خلق الله تعالى وجوهاً، وأكرمهم أخلاقاً، وأرقّهم طباعاً، وأسمحهم نفوساً، والأغلب على خلقهم البياض والحمرة، ومذاهبهم على ما كان عليه أهل الشام إلا من تخصص. ولها من الكور:

٩٩- بمعنى كثير.

١٠٠- أي أنها كانت بطريركية.

كورة تيزين، وهي ضياع جليلة القدر.

وكورة الجومة، وبها العيون الكبريتية التي تجري إلى الحمّة.

وكورة جندارس مدينة عجيبة البناء، مبنية بالحجارة والعمد.

وكورة أرتاح، وهي مدينة جليلة القدر.

وكورة الدقس، وهي كورة جليلة.

وكورة قرصيلي، وهي ضياع جليلة.

وكورة السويدية، وهي مدينة على ضفة البحر المالح.

وكورة الفارسية والعربية، وهي جليلة القدر.

وكورة يدابيا والقرشية[١٠١].

بالس

قال في العزيزي: ومنها إلى قلعة دوشر [دوسر] [المعروفة الآن بقلعة جعبر في شرقي الفرات] خمسة فراسخ، وفي غربي الفرات مقابل قلعة جعبر أرض صفّين التي بها كانت الوقعة، ومن قلعة جعبر إلى الرقة سبعة فراسخ[١٠٢].

١٠١- بغية الطلب لابن العديم ١/ ٨٨-٨٩. ويعلّق ابن العديم على المعلومات السالفة بقوله: "قلت وأهلها الآن هم من أبناء الروم والأفرنج، وخلقهم في الحسن والجمال على ما ذكر. وكورة تيزين وكورة الجومة، وكورة جندارس، وكورة أرتاح في يد المسلمين الآن مضافة إلى ولاة حلب". ويقتبس أبو الفداء عن المهلّبي طول استدارة السور فقط، تقويم البلدان، ص٢٥٧.

١٠٢- تقويم البلدان، ص ٢٦٩.

بانياس

قال العزيزي: ومدينة بانياس في لحف جبل الثلج، وهو مطل عليها، والثلج على رأسه كالعمامة لا يعدم منه صيفاً ولا شتاء[١٠٣]. وفي رأس الجبل ضيعة تعرف بصردا[١٠٤]، ومنها إلى ضيعة تعرف بكفرلا[١٠٥] بوادي كنعان[١٠٦] ثمانية عشر ميلاً ومن كفرلا إلى جب يوسف[١٠٧] اثنا عشر ميلاً. ومن بانياس إلى ضيعة تعرف ببيت سابر[١٠٨] على وادي يعرف ببيت جن[١٠٩] ثمانية عشر ميلاً، ومنها إلى

١٠٣- تقويم البلدان، ص ٢٤٩.

١٠٤- توجد قرية مهجورة الآن في مثلث الحدود السورية اللبنانية الفلسطينية اسمها صردا وقريبة من الموقع الذي يحدده المهلّبي، ولكنها ليست على رأس الجبل.

١٠٥- ينفرد المهلّبي بذكر هذه القرية، والتي لم يعد لها أثر في العهود اللاحقة، إذ لا توجد قرية بهذا الاسم حالياً، ولكن من خلال حديث المسعودي في "مروج الذهب" عن بحيرة كفرلى التي يعدّها من مصادر بحيرة طبرية، يمكن القول إنها لابد وان تكون قرب بحيرة الحولة التي جففت في الخمسينات، إضافة إلى تقدير المسافة بين صردا والبحيرة.

١٠٦- يقول المقدسي البشاري إن طبرية هي قصبة وادي كنعان، ويحدد ابن فضل الله العمري في "مسالك الأبصار" أن وادي كنعان هو الوادي الذي يشقه نهر الأردن من منبعه إلى مصبه في بحيرة زغر (البحر الميت). وفي ترجمة زين الدين الحافظي في "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" يذكر ابن أبي أصيبعة أن كسرة التتر على يد الملك المظفر قطز تمت في وادي كنعان. وتعرف المعركة باسم عين جالوت وهي بلدة بين بيسان ونابلس كما يقول ياقوت.

١٠٧- جب يوسف محطة على طريق دمشق- وهي المحطة الأولى بعد جسر يعقوب.

١٠٨- قرية معروفة حتى اليوم بهذا الاسم قريبة من سعسع.

١٠٩- وبيت جن معروفة اليوم أيضاً وهي على السفح الشرقي لجبل الشيخ.

قرية كالمدينة تعرف بداريا[110] من غوطة دمشق خمسة عشر ميلاً ومنها إلى دمشق ثلاثة أميال[111].

بصرى

قال العزيزي: وبصرى مدينة كورة حوران[112]، مدينة أزلية مبنية بالحجارة السود مسقفة بها، وبها سوق ومنبر، وهي من ديار بني فزارة وبني مرة وغيرهم، ولها قلعة ذات بناء متين وبساتين، وبناء قلعتها شبيه ببناء قلعة دمشق[113].

بعلبك

قال في العزيزي: وهي مدينة جليلة قديمة بها مذبح تقول الصابية [الصابئة] إنه بيت من بيوتهم عظيم عندهم جداً، ومن بعلبك إلى الزبداني ثمانية عشر ميلاً. و الزبداني مدينة ليس لها

١١٠- داريا إلى الغرب من دمشق. ويبدو أن المهلّبي يتحدث عن محطات الطريق الذي يصل دمشق بمدينة بانياس، وهو طريق أول من أنشأ السلوقيون وفي أجزاء مرصوفة بالحجر حتى اليوم، وجدده خلفاء الامبراطور هدريان في العهد الروماني، كما أن ابن جبير سلكه في طريقه من دمشق إلى بانياس.

١١١- تقويم البلدان، ص ٢٤٩، ، والإضافة حاشية رقم ١٢ص٢٧٣.

١١٢- أراضي هذه الكورة تضم أراضي محافظة السويداء الحالية والجهة الشرقية من محافظة درعا.

١١٣- تقويم البلدان، ص٢٥٣. وملاحظته حول التشابه بين بناء قلعة بصرى وقلعة دمشق جدير بالتأمل لأنه تشابه لافت للنظر أولاً. ولأن الشائع في التاريخ أن القائد السلجوقي أتسز بن أوق الخوارزمي هو الذي شرع في بناء قلعة دمشق سنة ٤٦٩ هجرية واكملها تاج الدولة تتش السلجوقي سنة٤٧١ هجرية، علماً أن المهلّبي سبق أتسز وتتش بنحو قرن من الزمان.

أسوار، وهي على طرف وادي بردى، والبساتين متصلة من هناك إلى دمشق، وهي بلد حسن كثير المنازه والخصب ومنه إلى دمشق ثمانية عشر ميلاً[١١٤].

بغراس

قال في العزيزي: وبغراس بينها مدينة أنطاكية اثنا عشر ميلاً، وبينها وبين اسكندرونة أيضاً اثنا عشر ميلاً، وهي في الجبل المطل على عمق حارم، وحارم في جهة الشرق عنها. وبينهما نحو مرحلتين، وبغراس في جهة الجنوب عن دربساك وبينهما بعض مرحلة[١١٥].

بلنياس

قال العزيزي: ومدينة بلنياس دون مدينة جبلة وبينها وبين أنطرطوس اثنا عشر ميلاً[١١٦].

بيت المقدس

قال محمد بن الحسن الكلاعي: قرأت في كتاب المسالك والممالك العزيزي تأليف الحسن بن أحمد المهلّبي:

١١٤- تقويم البلدان، ص٢٥٥.

١١٥- تقويم البلدان، ص٢٥٩.

١١٦- تقويم البلدان، ص ٢٥٥. ويضيف أبو الفداء "وهو حصن أحدثه المسلمون في سنة أربعة وخمسون وأربعمائة نقله ابن منقذ في تاريخ القلاع والحصون". والغريب أن بلنياس تحولت الآن إلى بانياس وهناك خلط بينها وبين بانياس الواقعة في الجولان.

صفة بيت المقدس[١١٧]

قال الحسن بن أحمد المهلّبي: كان أبو عبيدة بن الجراح قد افتتح من فلسطين مدينة نابلس، وسفسطية[١١٨]، وبيت جبرين، ومدينة يافا، كل ذلك صلحاً على أداء الجزية والخراج في الأرضين. وكان ذلك كله في أيام عمر بن الخطاب في سنة ست عشرة من الهجرة. وكان عمرو بن العاص قد افتتح غزة قبل ذلك في أيام أبي بكر صلحاً على هذه الشريطة. ثم إن أبا عبيدة حاصر مدينة إيليا، وهي بيت المقدس. فطلب أهلها الصلح على مثل صلح الجند كله من أداء الجزية والخراج، على أن يكون عمر بن الخطّاب المتولّي للعقد بنفسه. فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك فسار عمر من المدينة حتى نزل الجابية[١١٩]، ثم سار إلى بيت المقدس فتمّم الصلح في سنة سبع عشرة. وكتب لأهلها، واستثنى عليهم موضعاً من كنيستها فبناه مسجداً يعرف به الآن.

ومدينة إيليا[١٢٠] هذه مدينة عظيمة في جبل شامخ على مسيرة يوم من مدينة الرملة، مبنية بالحجارة العادية[١٢١]. بناها سليمان بن داود

١١٧- مخطوطة الأمبروزيانا المنشورة في مجلة معهد المخطوطات العربية لعام ١٩٥٨.

١١٨- وتكتب أيضاً سبسطية وهي من أعمال نابلس حسب ياقوت الحموي، ومن المستغرب أن الدكتور صلاح الدين المنجّد محقق المخطوطة يذكر أنه لم يعثر لها على أثر في المراجع.

١١٩- وتسمى جابية الجولان وكانت مقر ملوك الغساسنة.

١٢٠- المقصود هنا مدينة القدس، وكان هذا اسمها قبل الفتح الإسلامي. وقد ورد اسمها هكذا في نص العهدة العمرية، وأصل الاسم يعود إلى القرن الأول الميلادي عندما أطلق الامبراطور=

عليهما السلام، وبها الجامع الأعظم، طوله تسع مئة ذراع، وعرضه خمس مئة ذراع وعشرون ذراعاً، مبني على آزاج عظام، تحته، يُنزل إليها بدرج، ويُخرج من أبواب لها شاهقة إلى طرقات تحت المسجد مستقلة كأنها طبقة ثانية تحت المسجد.

والمسجد على شفير واد من شرقيه يعرف بوادي جهنم. والطرقات المستقلة تحت المسجد في الطبقة الثانية تفضي إليه. وحيطانه وأساسه مبنية بحجارة منحوتة، منها ما طول الحجر منه عشر أذرع، وعرضه وسمكه أربع أذرع.

ورواق المسجد القبلي الذي فيه المحراب شبيه بسدسه في الذرع. وليس الرواق في عرض الصحن كله، بل هو في مقدار ثلثي الصحن، والثلث الآخر مكشوف لا رواق عليه.

وسقف الرواق على كنائس شاهقة على عُمُد رخام، عليها حنايا معقودة تحمل الكنائس، وأوسطها كنيسة هي أعظمها، وهي المقابلة للمحراب. فإذا صار الإنسان في وسط الكنيسة بين المحراب والباب المساوي له، صار تحت قبة تقطع الكنيسة العظمى، سعتها عشرون ذراعاً في مثلها[١٢٢].

=الروماني هدريان (hadrian) اسم إيليا كايتولينا على المستعمرة الرومانية التي أنشأنها مكان المدينة المدمرة.

١٢١- أي القديمة وكل قديم يقال له عادي ولذلك أطلق العرب على الآثار اسم العاديات.

١٢٢- هذه معلومة جديدة.

والـرواق كلـه مـبلّط بـالمرمر وحيطانـه كلـها منقوشـة. ويـدور بالرواق من سائر جهاته أبواب مطويـة، بـين يـديها أروقـة علـى عُمـد مـن سـائر جهـات المسـجد، كمـا يـدور الصـحن بأروقـة علـى عُمـد عـرض الـرواق أربـع عشـر ذراعـاً. ووسـط الصـحن دكـة الصـخرة، ارتفاعهـا مـن الأرض سـت أذرع، وطولهـا مئـة وعشـرون ذراعـاً في عرض مثلها.

ووسط الدكة قبة عالية على أركان مربعة بحيطـان تـدور بـين الأركان، طول كل واحد خمس وخمسون ذراعاً، بأربعة أبواب في أربع جهات القبة.

يُدخل مـن كـل بـاب منهـا إلى مثـل دهليـز مقـدار طولـه خمس أذرع، وتفضي جميعها إلى البيت الـذي القبة في وسطه. وهـي علـى عمـد بتقطيـع مـثمن، ارتفاعهـا نيـف وسـتون ذراعـاً مـن عرضـه للأرض، ملبسة بقراميد نحاس مذهبة، ومن تحتها عُمد رخام ملوّح ومجزّع، والقبة وحيطانها منقوشة بالفسافس[١٢٢] الملون المذهب.

١٢٢- صيغة أخرى للفسيفساء.

والصخرة المقدسة وسط القبة عليها حظار[١٢٤] مبني. وارتفاعها من أرض القبة نحو ثلاث أذرع، وطولها نحو اثني عشر ذراعاً في مثلها.

والحظار الذي حولها أيضاً مثمن. وتحتها مغارة ينزل الناس إليها بدرج. وهذه القبة كلها مفروشة بحصر البيامان النفيسة، وفيها عدد كبير من قناديل الفضة، وهذا المسجد هو الذي بناه سليمان بن داود عليهما السلام على الأساس الذي بناه داود عليه السلام.

ويزعم أهل الكتاب أن أول ظهور هذه الصخرة أن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام خص ابنه يعقوب بدعاء وبركة. فحسده أخوه العيص على ذلك. وكان شرساً شديداً . فخافت عليه أمهما رفقى من أخيه فأشارت عليه بالمسير إلى حرّان ليأخذ ابنة خاله رابان، وكانت امرأته هناك، ويستدفع مغبة شر أخيه عنه. فسار حتى إذا صار في الموضع الذي فيه الآن الصخرة، غشيه الليل فنام هنالك، وقد جعل تحت رأسه اثني عشر حجراً. فرأى في منامه كأن باباً في السماء انفتح، وعليه سلّم موضوع، والملائكة تطلع منه وتنزل. فقال في نفسه: هذا باب السماء. وشرف الموضع عنده.

١٢٤- في لسان العرب الحظار كل ما حال بينك وبين شيء، وكل شيء حَجَرَ بين شيئين، فهو حِظارٌ وحِجارٌ. و الحِظارُ: الحَظِيرَةُ تعمل للإبل من شجر لتقيها البَرْدَ والريحَ؛ وفي التهذيب الحَظَارُ، بفتح الحاء.

ثم وجد الحجارة التي كانت تحت رأسه قد صارت حجراً واحداً، فازداد شرف الموضع في نفسه[125].

١٢٥- الكتاب المقدس، سفر التكوين، "فحقد عيسو على يعقوب من اجل البركة التي باركه بها أبوه. وقال عيسو في قلبه قربت أيام مناحة أبي. فأقتلُ يعقوب أخي. فأُخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر، فأرسلت ودعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له هوذا عيسو أخوك متسل من جهتك بأنه يقتلك. فالآن يا ابني اسمع لقولي وقم اهرب إلى أخي رابان إلى حاران وأقم عنده أياماً قليلة حتى يرتد سخط أخيك (..) وقالت رفقة لاسحاق مللت حياتي من أجل بنات حث وإن كان يعقوب يأخذ زوجة من بنات حث مثل هؤلاء من بنات الأرض فلماذا لي حيوة [الإصحاح السابع والعشرون] فدعا إسحق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له لا تأخذ زوجة من بنات كنعان. قم اذهب إلى آرام فدان إلى بيت بتوئيل أبي أمك وخذ لنفسك زوجة من هناك من بنات لابان أخي أمك (..) فخرج يعقوب من بئر السبع وذهب نحو حاران . وصادف مكاناً وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت. وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه فاضطجع في ذلك المكان. ورأى حلماً وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء. وهوذا ملائكة الله صاعدة نازلة عليها. وهوذا الرب واقف عليها فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله اسحق. الأرض التي أن مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً. ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض. وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض. لأني لا أتركك حتى افعل ما كلمت به فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقاً إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم. وخاف وقال ما أرهب هذا المكان. ماهذا إلا بيت الله وهذا باب السماء. وبكر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه عموداً وصب زيتاً على راسه ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل. ولكن اسم المدينة أولاً كان لوز. ونذر يعقوب نذر قائلاً إن كان الله معي وحفظني في هذا الطريق الذي أنا سائر فيه وأعطاني خبزاً لآكل وثياباً لألبس ورجعت بسلام إلى بيت أبي يكون الرب لي إلهاً. وهذا الحجر الذي أقمته عموداً يكون بيت الله وكل ما تعطيني فإني أعشره لك". [الإصحاح الثامن والعشرون]

ويقـول أهـل الكتـاب: إن أول جـزو [جـزء] خُلـق مـن الأرض الصخرة، وإن آدم عليه السلام هنالك خُلق. وإن ماء الطوفان تجافى عن موضع الصخرة، وإنه أول مذبح كان بعد الطوفان.

وإن الله تعالى قد كان أمر إبراهيم عليه السلام بالصلاة في هذا الموضع. ولم يزل الموضع شريفاً يخص الله عز وجل بمعرفته أولياءه إلى أن دخل بنو إسرائيل الشام من مصر.

فلما تمكنوا وظهر الإيمان بالله وعظم أمرهم، ورأوا سائر أهل الأرض بملوك، وأحبوا أن يكون لهم ملك يجمعهم. وإنما كان يسوسهم رؤساؤهم على غير سبيل الملك. وكان النبي في ذلك الوقت شمويل. فسأل الباري عز وجل، أن يملك عليهم ملكاً منهم يجمع أمرهم وأن يعّرفه به. فأوحى الله إليه: اجمع القوم، فأطولهم قدراً هو ملكهم. وكان طالوت الذي ذكره الله في الكتاب أمد بني إسرائيل قامة. فكان أطولهم يلحق منكبه. فلما طُلب للملك هرب ورعاً فيه وكراهية لحمل ثقل الملك. فقدّمه النبي مكرهاً فملكه عليهم، فأقام مدة ثم هلك[126].

١٢٦- الكتاب المقدس، سفر صموئيل الأول، "واستدعى صموئيل الشعب إلى الرب إلى المصفاة. وقال لبني إسرائيل هكذا يقول الرب إله إسرائيل. إني أصعدت إسرائيل من مصر وأنقذتكم من يد المصريين ومن يد جميع الممالك التي ضايقتكم. وأنتم قد رفضتم اليوم إلهكم الذي هو مخلصكم من جميع الذين يسيئون إليكم ويضايقونكم وقلتم له بل تجعل علينا ملكاً. فالآن امثلوا أمام الرب حسب أسباطكم وألوفكم (..) فسألوا أيضاً من الرب هل يأتي الرجل أيضاً إلى هنا. فقال الرب: هوذا اختبأ بين الأمتعة. فركضوا وأخذوه من هناك. فوقف بين الشعب، فكان أطول من كل=

وملك بعده داود عليه السلام. فأقام في الملك أربعين سنة، فأراد في بعضها أن يبني البيت الذي هو المسجد الآن. فأوحى الله تعالى إليه أن ابنه سليمان هو الذي يبنيه. فبنى داود الأساس الذي ذكرتُه، وأعدَّ للبيت، على ما يذكر أهل الكتاب من الذهب الإبريز ثلاثة آلاف قنطار، ومن الفضة البيضاء سبعة آلاف قنطار، ومن الذهب الدون، ومن الفضة الدون، والحديد والنحاس ألف ألف قنطار، ومن الجواهر ما لا يحصى. ولما ابتدأ سليمان عليه السلام ببناء البيت، تبرع بنو إسرائيل في ذلك اليوم له بخمسة آلاف قنطار ذهباً، وعشرة آلاف قنطار فضة، ومئة ألف قنطار نحاساً وحديداً.

وبنى سليمان عليه السلام البيت في ثلاث عشرة سنة[127]. وكان عدد الأُجَراء في البيت سبعين ألف أجير. وكان قطّاعوا الحجارة

=الشعب من كتفه فما فوق. فقال صموئيل لجميع الشعب: أرأيتم الذي اختاره الرب إنه ليس مثله في جميع الشعب. فهتف كل الشعب وقالوا: ليحيى الملك. [الإصحاح العاشر] وصموئيل هو شمويل، وطالوت هو شاؤول.

١٢٧- الكتاب المقدس، سفر الملوك الأول، "وأما بيته فبناه سليمان في ثلاث عشرة سنة وأكمل كل بيته". [الإصحاح السابع]

ثمانين ألف قطاع، وكان رؤساء البنائين والوكلاء ثلاثة آلاف وخمس مئة رجل[١٢٨].

ولم يكن يسمع [يُسمَع] في البيت يضرب [يضرب] قدّوم، لأن الحجارة والخشب كانت تنحت خارج البيت، ويُدخَل بها مفروغاً منها[١٢٩].

قال أهل الكتاب: وكان البيت قد غشي بالذهب.

قالوا: وكان سليمان قد عمل في البيت بستاناً من ذهب، فيه على مثال سائر الأشجار من ذهب.

قالوا: وجعل الله فيه آية.

قالوا: فكانت كل شجرة فيه تطعم من الثمر ما تطعمه الشجرة التي هي معمولة على مثالها.

قالوا: وكان في هذا البيت عشر آيات.

منها: أنه لم يُسقط حبلى قط من روائح طبيخ فيه.

ولم ينتن لحم القربان به قط،

ولم تُرَ فيه ذبابة قط،

١٢٨- الكتاب المقدس، سفر الملوك الأول، "وكان لسليمان سبعون ألفاً يحملون أحمالاً، وثمانون ألفاً يقطعون في الجبل ما عدا رؤساء الوكلاء لسليمان، الذين على العمل، ثلاثة آلاف وثلاث مئة المتسلطين على الشعب العاملين العمل". [الإصحاح الخامس]

١٢٩- الكتاب المقدس، سفر الملوك الأول، "ولم يسمع في البيت عند بنائه منحت ولا معول ولا أداة من حديد". [الإصحاح السادس]

ولم يَجْنُب الإمام ليلة صومه الأكبر فقط،

ولم يوجد في خبز فيه عفن قط،

ولم تملّ الريح دخان القربان في صعوده إلى الجو قط،

ولم يطفئ المطر نار القربان قط،

ولم يلسع الهوام المؤذي بها أحد قط،

وكان الناس يصلّون في البيت متضاغطين، فإذا سجدوا وجدوا بين كل اثنين منهم أربع أذرع، وكأن الأرض تتسع لسجودهم.

وكانت النار على صورة أسد رابض على المذبح.

فهذه عشر آيات.

قالوا: وفي اليوم الذي فرغ فيه سليمان عليه السلام من بناء البيت، قرّب مئة ألف وعشرين ألفاً من الخرفان، واثنين وعشرين ألفاً من البقر، وأحرق جميع شحومها على المذبح[130].

قالوا: وبُني هذا البيت على رأس أربع مئة وثمانين سنة لخروج بني إسرائيل من مصر[131].

١٣٠- الكتاب المقدس، سفر الملوك الأول، "ثم إن الملك وجميع من معه ذبحوا ذبائح أمام الرب وذبح سليمان ذبائح السلامة التي ذبحها للرب من البقر اثنين وعشرين ألفاً ومن الغنم مئة ألف وعشرين ألفاً. فدشن الملك وجميع بني إسرائيل بيت الرب في ذلك اليوم قدس الملك وسط الدار التي أمام بيت الرب لأنه قرّب هناك المحرقات والتقدمات وشحم ذبائح السلامة". [الإصحاح الثامن]

قالوا: وأخربه بخت نصّر ومدينة بيت المقدس، وسبى بني إسرائيل وقتلهم أبرح القتل بخلافهم أمر الله، على رأس أربع مئة وعشر سنين من بنائه[132].

قالوا: وردّ البيت واستؤنف بناؤه الكرة الأخيرة في أيام دارا بن دارا، ودانيال النبي عليه السلام، على رأس سبعين سنة من إخرابه المرة الأولى[133].

قالوا: وأقام بهذه العمارة الأخيرة تسع مئة وإحدى وعشرين سنة.

ثم تنصّرت الروم، فأخربه طيطوس ملك لهم[134].

وقال أهل الكتاب النصارى: ولد المسيح عليه السلام ببيت لحم على أربعة أميال من بيت المقدس في الحد القبلي منها. فبنوا على موضع مولده كنيسة ليس على وجه الأرض مثلها[135].

١٣١- الكتاب المقدس، سفر الملوك الأول، "وكان في سنة الأربع مئة وثمانين لخروج بني إسرائيل من ارض مصر في السنة الرابعة للملك سليمان" [الإصحاح السادس]

١٣٢- الكتاب المقدس، سفر دانيال، "في السنة الثالثة من ملك يهو ياقيم ملك يهوذا ذهب نبوخذ ناصر ملك بابل إلى أورشليم وحاصرها وسلم الرب بيده يهوناقيم ملك يهوذا مع بعض آنية بيت الله فجاء بها إلى ارض شنعار.. [الإصحاح الأول]

١٣٣- راجع سفر دانيال، الإصحاح العاشر.

١٣٤- في سنة ٧٠ ميلادية هدم تيطوس (titus) ابن الامبراطور الروماني فيسباسيان هيكل هيرودوس الذي كان قد بناه مكان المعبد القديم أو في مكان قريب منه. راجع دراسة نقولا زيادة في الموسوعة الفلسطينية الجزء الثاني "فلسطين من الاسكندر إلى الفتح العربي الاسلامي".

١٣٥- المقصود كنيسة المهد.

قالوا: وكان مع بني إسرائيل يتعلم العلم.

قالوا: وبمدينة بيت المقدس قتله بنو إسرائيل، وموضع خشبته التي يدّعون صلبه عليها، وقبره الذي يدّعون دفنه فيه، هو الكنيسة المعروفة بالقمامة[١٣٦]، أعظم كنيسة على وجه الأرض، مبنية بالرخام المجزّع والفسافس الملون، والنحاس المذهب. وقبر مريم عليها السلام على شفير الوادي المعروف بوادي جهنم، قد بنيت عليها كنيسة جليلة تعرف بالجسمانية[١٢٧].

ولما بنت هلانة أم قسطنطين الملك كنيسة قمامة وغيرها من الكنائس أمرت بتقصي هدم البيت، وجعلت موضع الصخرة

١٣٦-كنيسة القيامة، وفعل كنس وقمّ مترادفان لغةً، وحسب ياقوت الحموي فإن "قُمَامَةُ: بالضم: أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس، وصفُها لا ينضبط حُسناً وكثرة مال وتنميق عمارة، وهي في وسط البلد والسور يحيط بها، ولهم فيها مقبرة يسمونها القيامة لاعتقادهم أن المسيح قامت قيامته فيها، والصحيح أن اسمها قمامة لأنها كانت مزبلة أهل البلد وكان في ظاهر المدينة يُقطع بها أيدي المفسدين ويصلب بها اللصوص، فلما صُلب المسيح في هذا الموضع عظّموه كما ترى، وهذا مذكور في الإنجيل، وفيه صخرة يزعمون أنها انشقت وقام آدم من تحتها والصلبوت فوقها سوى، ولهم فيها بستان يوسف الصدّيق، عليه السلام، يزورونه، ولهم في موضع منها قنديل يزعمون أن النور ينزل من السماء في يوم معلوم فيشعله". أما المؤرخ ابن خلدون فيعزو هذه التسمية إلى أن القديسة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين التي "ارتحلت إلى القدس في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعمهم، فأخبرها القمامصة بأنه رمي بخشبته على الأرض، وألقي عليها القمامات والقاذورات. فاستخرجت الخشبة، وبنت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة كأنها على قبره بزعمهم".

١٣٧-كنيسة الجسمانية معروفة حتى اليوم في القدس.

حشوش البلد ومزابله فدثر[138]. فلما فتح عمر البلد جاءه اليهود فعرفوه بالموضع، فأمر المسلمين بتنظيفه، وعاونه اليهود على ذلك فكشف عن الموضع وبنى المسلمون عليه مسجداً[139].

فلما كان في أيام الوليد بن عبد الملك بنى المسجد على أساسه القديم وبنى القبة على الصخرة، وحسّن الموضع وسواه، وبنى فيه قباباً غيرها سمى بعضها قبة المعراج، وبعضها قبة الميزان، وبعضها قبة السلسلة، وبعضها قبة المحشر. وأقام في نفوس الطغام من أهل الشام أن الناس يُحشَرون إلى ذلك الموضع ويُحاسَبون فيه، وأنه عُرج بالنبي عليه السلام من ذلك الموضع إلى السماء، استتثاء لهم، وصداً عن الحج، وإشغالاً لهم بهذا المكان عن الحجاز، خوفاً على أهل الشام أن يدخلوا الحجاز فيلقاهم الناس ويعرّفونهم فضل أهل البيت عليهم السلام على بني أمية، لأنه لم يكن بالشام أحد يظن أن للنبي قرابة إلا بني أمية"[140].

١٣٨- يبدو أن مصادر التأريخ المسيحية كانت معرية في زمن المهلّبي.

١٣٩- لم يذكر أي من الإخباريين العرب أن اليهود ساعدوا عمر بن الخطاب في التعرف على موضع الصخرة.

١٤٠- هذه القصة منسوخة عن قصة يربعام التي يسردها المهلّبي عند حديثه عن مدينة نابلس كما سنرى لاحقاً، والملاحظ أن أبا الفداء في تقويم البلدان ينقل قصة الوليد بن عبد الملك عن المهلّبي لكنه يقول في نهاية الاقتباس "والعهد عليه في ذلك" أي أنه لم يعثر على هذا الكلام في مصدر آخر، تقويم البلدان ص ٢٢٧.

مسجد إبراهيم الخليل

وعلى ثمانية عشر ميلاً من بيت المقدس في سمت القبلة، مسجد إبراهيم عليه السلام، وهو الموضع الذي كان به منزله وضيافته، وبه استضافه الملائكة المرسلون إلى قوم لوط.

ويقول أهل الكتاب: إن إبراهيم عليه السلام إنما رغب في ذلك الموضع واتخذه وطناً لأن قبر آدم وحواء عليهما السلام فيه، وأنه اشترى المغارة التي فيها القبر من عفرون بن صوحر بأربع مئة قنطار فضة[141].

قالوا: وفي الموضع الآن قبر إبراهيم وسارة وإسحاق ورفقى ويعقوب ولايا.

١٤١- الكتاب المقدس، سفر التكوين، " فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث. وكلّمهم قائلاً: إن كان في نفوسكم أن أدفن ميتي من أمامي فاسمعوني والتمسوا لي من عفرون بن صوحر أن يعطيني مغارة المكفيلة التي له في طرف حقله. بثمن كامل يعطيني إياها في وسطكم ملك قبر(..) فاجاب عفرون إبراهيم قائلاً له: ياسيدي اسمعني. ارض بأربعمائة شاقل فضة ما هي بيني وبينك. فادفن ميتك. فسمع إبراهيم لعفرون ووزن إبراهيم لعفرون الفضة التي ذكرها في مسامع بني حث أربع مائة شاقل فضة جائزة عند التجار (..) وبعد ذلك دفن إبراهيم سارة امرأته في حقل المكفيلة أمام ممرا التي هي حبرون في أرض كنعان [الاصحاح الثالث والعشرون]. واسلم إبراهيم روحه ومات بشيبة صالحة شيخاً شبعان أياماً وانضم إلى قومه . ودفنه إسحق وإسماعيل ابناه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون بن صوحر الحثي [الإصحاح الخامس والعشرون].

بيروت

قال العزيزي: وبين بيروت ومدينة بعلبك على عقبة المغيثة ستة وثلاثون ميلاً، وبينهما مدينة عرجموس[١٤٢] على أربعة وعشرين ميلاً عن مدينة بيروت.

قال: وبيروت مدينة جليلة شرب أهلها من قناة تجرّ إليها ولها مينا جليل، وبينها وبين مدينة جبيل ثمانية عشر ميلاً، وجبيل لها مينا وسوق وجامع[١٤٣].

جبلة

قال في العزيزي: ومدينة جبلة أكبر من مدينة بلنياس، وبين جبلة وبين بلنياس أربعة وعشرون ميلاً، ومن جبلة إلى اللاذقية اثنا عشر ميلاً ولها أعمال واسعة[١٤٤].

حلب

قرأت في كتاب «المسالك والممالك» الذي وضعه الحسن بن أحمد المهلّبي للعزيز الفاطمي المستولي على مصر قال: فأمّا حلب

١٤٢- يقول ياقوت في معجم البلدان: " عَرْجَمُوس: بالجيم، والسين: قرية في بقاع بَعلَبَك يزعمون أن فيها قبر حبلة بنت نوح، عليه السلام".

١٤٣- تقويم البلدان، ص٢٤٧.

١٤٤- تقويم البلدان، ص٢٥٥.

فهي مدينة قنسرين[145] العظيمة وهي مستقر السلطان، وهي مدينة جليلة عامرة آهلة، حسنة المنازل، بسور عليها من حجر، وفي وسطها قلعة على جبل وسط المدينة لا تُرام، ليس لها إلا طريق لا مقابلة عليه، وعلى القلعة أيضاً سور حصين؛ وشرب أهل حلب من نهر على باب المدينة يعرف بقويق، ويكنّيه أهل الخلاعة أبا الحسن.وأعمال قنسرين كلها ومدينة حلب فتحت صلحاً.

وقال: فأمّا الأقاليم التي هي منها، فإن من الإقليم الرابع حلب، وعرضها أربع وثلاثون درجة، فأما أهلها فهم أخلاط من الناس من العرب والموالي، وكانت بها خطط لولد صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، وتأثلت لهم بها نعمة ضخمة، وملكوا بها نفيس الأملاك، وكان منهم من لحقت بقيتهم بنو القلندر فإنني شاهدت لهم نعماً ضخمة، ورأيت لهم منازل في نهاية السرو[146]. وكان بها أيضاً قوم من العرب يُعرَفون ببني سنان، كانت لهم نعمة ضخمة.وسكنها أحمد بن كيغلغ وبنى بها داراً معروفة إلى الآن؛ وملك بها بدر غلامه ضياعاً نفيسة، فأتى على ذلك كله الزمان، وسوء معاملة من كان يلي أمورهم، لأنه لم يكن بالشام مدينة أهلها أحسن نعماً من أهل حلب، فأتى على ذلك كله، وعلى

١٤٥- المقصود هنا جند قنسرين، وكما أسلفنا كانت التقسيمات التي وضعت أثناء الفتوح الإسلامية سارية المفعول في زمن المهلّبي.

١٤٦- السرو بمعنى المروءة والشرف والسخاء.

البلد نفسه سوء معاملة علي بن حمدان لهم، وما كان يراه من التأول في المطالبة[١٤٧].

(...)

عدنا إلى كلام العزيزي قال: وحلب من أجلّ المدن وأنفسها، ولها من الكور والضياع ما يجمع سائر الغلاّت النفيسة، وكان بلد معرّة مصرين إلى جبل السمّاق[١٤٨] بلد التين والزبيب والفستق والسمّاق، وحبّة الخضراء يخرج عن الحد في الرخص، ويُحمَل إلى مصر والعراق، ويُجَهَّز إلى كل بلد، وبلد الأثارب والأرتاح إلى نحو جبل السمّاق أيضاً، مثل بلد فلسطين في كثرة الزيتون. ولها ارتفاع جليل من الزيت، وهو زيت العراق، يحمل إلى الرقة إلى الماء. ماء الفرات، إلى كل بلد، وقد اختلّ ذلك ونهكه الروم. فأمّا خلق أهلها، فهم أحسن الناس وجوهاً وأجساماً، والأغلب على

١٤٧- علي بن حمدان هو سيف الدولة، وأجمع المؤرخون على مزاياه الحسنة لكنهم أجمعوا أيضاً على قسوته وعدم تساهله في جبي الضرائب، والمكوس.

١٤٨- هو جبل الزاوية التابع لمحافظة إدلب اليوم، ويقول ياقوت الحموي في حديثه عن جبل السمّاق: "بلفظ السمّاق الذي يطبخ به: هو جبل عظيم من أعمال حلب الغربية، يشتمل على مدُن كثيرة وقرىً وقلاع، عامتها للإسماعيلية (..)، وأكثرهم في طاعة صاحب حلب، وفيه بساتين ومزارع كلها عديٌّ، والمياه الجارية به قليلة إلا ما كان من عيون ليست بالكثيرة في مواضع مخصوصة، ولذلك تنبت فيه جميع أشجار الفواكه وغيرها حتى المشمش والقطن والسمسم وغير ذلك، وقيل: إنه سمي بذلك لكثرة ما ينبت فيه من السمّاق".

ألوانهم الدرّية[149] والحمرة والسمرة، وعيونهم سود وشهل، وهم من أحسن الناس أخلاقاً وأتمهم قامة وكانت اعتقاداتهم مثل ما كان عليه أهل الشام قديماً، إلا من تخصّص منهم، وقبلتهم موافقة لقبلة أهل الشام[150]. قال في العزيزي: وهي مدينة جليلة العمارة حسنة المنازل عليها سور من حجر وفي وسطها قلعة على تل لا تُرام وبينها وبين معرّة النعمان ستة وثلاثون ميلاً وبينها وبين مدينة بالس خمسة عشر فرسخاً[151].

حمص

قال العزيزي: مدينة حمص هي قصبة الجند، وهي من أصحّ بلدان الشام هواء، وبظاهر حمص على بعض ميل، يجري النهر المقلوب وهو نهر الأرنط[152] ولهم عليه أجنّة حسنة وكروم[153].

١٤٩- الدرية بمعنى المضيئة وهي هنا كناية عن البياض.

١٥٠- بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ١/٥٨-٦٠، ويعلّق ابن العديم على الفقرة الأخيرة بقوله: "يشير بقوله: وكانت إعتقاداتهم مثل ما كان عليه أهل الشام قديماً؛ إلى مذهب أهل السنّة وكذلك كان مذاهب أهل حلب، حتى هجمها الروم في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، وقتلوا معظم أهلها، فنقل إليها سيف الدولة من حرّان جماعة من الشيعة مثل الشريف أبي إبراهيم العلوي وغيره، وكان سيف الدولة يتشيّع، فغلب على أهل حلب التشيّع لذلك".

١٥١- تقويم البلدان، ص٢٦٧.

١٥٢- هو المعروف في أيامنا باسم نهر العاصي.

١٥٣- تقويم البلدان، ص٢٦١.

ويقال: إذا غُسل بماء حمص ثوب لم يُضِر لابسه حيّة ولا عقرب إلى أن يغسل الثوب بغير ماء حمص وبشرة أهلها من أحسن بَشَرَة[١٥٤].

دمشق

قال المهلّبي: وأمّا دمشق فإنها مدينة عاديّة أزلية. وهي مدينة الشام العظمى، وقصبة الجند[١٥٥]. وهي من الإقليم الرابع. وعرضها ثلاث وثلاثون درجة.

قالوا: وهي إرم ذات العماد. وهي من أحسن البلاد وأجلّها موقعاً سهلية جبلية، وفي شمالها جبل عظيم ممتد مسيرة أربعة أيام[١٥٦]. وكانت مدينة اليونانية ودار ملكهم.

وقيل: إنه وجد في ركن من أركان البيت الذي كان للعبادة – ثم صار كنيسة، ثم صار مسجد الجامع- مكتوباً باليونانية «بنى هذا البيت دامشقيوس على اسم الإله ازيس».

قالوا: وداماشقيوس اسم الملك الذي بناها، وإيزيس تفسيره بالعربية المشتري[١٥٧].

١٥٤- تقويم البلدان هامش في الصفحة ٢٧٢.

١٥٥- المقصود جند دمشق، ومن الواضح أن هذه التقسيمات كانت سارية المفعول في زمن المؤلف، أي في القرن الرابع الهجري، علماً أن هذه التقسيمات الإدارية انتهت في زمن الدولتين النورية والصلاحية وما تلاهما.

١٥٦- هو جبل سنير الذي يسمى الآن جبل القلمون.

وقال قوم: بناها جيرون بن عاد. والصابئة تزعم أن البيت الذي كان بها هو أحد البيوت السبعة المبنية على أسماء الكواكب، وأنه بيت المشتري. ويَرَون حجَّه والسعي إليه.

قالوا: وبني والمشتري راجع. فأقام أربعة آلاف وخمس مئة سنة.

قالوا: وغلب عليه عبّاد الأصنام من اليونانية لما تركوا دين آبائهم. فأقام في أيديهم ألف سنة.

فقالوا ثم تنصرت اليونانية فصيَّروا البيت كنيسة. فأقام بذلك خمس مئة سنة.

قالوا: ثم جاء الإسلام فبني مسجداً منذ ثلاث مئة سنة.

قال: وطول الغوطة ثلاثون ميلاً، وعرضها خمسة عشر ميلاً. ولا تكاد الشمس أن تصل إلى أكثر أرضها لكثرة الشجر، والماء يتخرق في جميع هذه الغوطة فإنها مقسومة للضياع متوزعة للشرب.

قالوا: واسم الجبل المذكور في شمالي دمشق القسيون[١٥٨].

قالوا: وفي هذا الجبل المغارة التي قتل فيها هابيل قابيل.

١٥٧- دامشقيوس هو اسم دمشق في اللاتينية (Damascus) وازيس هو الإله زيوس أبو الآلهة لدى الاغريق ومعادله الروماني جوبيتير، وهو فعلاً كان الإله الذي كُرِّس له معبد دمشق الوثني الروماني، معبد جوبيتير، والاسمان يعنيان كوكب المشتري، راجع معالم دمشق التاريخية لأحمد الإيبش ص٢٠٥.

١٥٨- المقصود جبل قاسيون، ومن الطريف أن صيغة الاسم بإسقاط الألف هي الأقرب إلى صيغته السريانية قشيون- قشيونا، ومعناه القاسي. راجع معالم دمشق التاريخية لأحمد الإيبش ص٤٢٨.

قالوا: وبها استتر إبراهيم عليه السلام من النمرود.

قال: ونزل المسلمون على دمشق لأربع عشر ليلة بقيت من المحرّم سنة أربع عشرة للهجرة، بعد أن فُتِحت غوطتها كلها عنوة. فنزل أبو عبيدة ابن الجراح على باب الجابية، ونزل خالد بن الوليد على باب شرقي، ونزل يزيد بن أبي سفيان على باب بسيان[159]، ونزل شرحبيل بن حسنة على باب الفراديس، ونزل عمرو بن العاص على باب توما. وحصرها المسلمون مدة، ثم فتحها أبو عبيدة من ناحية باب الجابية.

فلما أحسّ من فيها بالغلبة مالوا إلى خالد بن الوليد فصالحوه من ناحية الباب الشرقي، وفتحوا له فدخل، فالتقى بأبي عبيدة في المدينة. فاختلفا في فتحها هل هو عنوة أو صلحاً، وكتبا في ذلك إلى عمر، فأمضاها على الصلح وبنى المسلمون الجامع إلى جانب كنيسة يوحنّا[160].

فلما تملّك معاوية بن أبي سفيان، أراد أن يزيد الكنيسة في المسجد فمنعه النصارى عن ذلك، فأمسك عن طلبها.

١٥٩- لايوجد في دمشق باب بهذا الاسم ولعله باب كيسان.

١٦٠- اختلف الإخباريون العرب حول فتح دمشق، فذهب فريق إلى أن خالد بن الوليد فتحها عنوة، بينما رأى آخرون بأنه فتحها صلحاً، وثمة وجهة نظر تستحق النقاش للباحث الألماني كلاوس كلير صاحب كتاب "خالد وعمر" مفادها أن دمشق فتحت مرتين على يد خالد بن الوليد.

ثم لما تملّك عبد الملك أراد أن يفعل ذلك، وبذل فيه مالاً كثيراً فمنعه النصارى منه.

فلما تملّك الوليد بن عبد الملك جمعهم وأرغبهم، وبذل لهم مالاً عظيماً فأبوا عليه. فقال لهم إنكم إن أجبتموني إلى ما أريده و إلاّ خربت الكنيسة. فقال له بعضهم: إن من خرب كنيسة جُن. فأحفظه ذلك. فنهض في ثوب خز أصفر فوضع المعول بيده فيها فنقضها وزادها في أرض المسجد. وبناه بُنْيةً ليس على وجه الأرض مثلها، أسرف فيها.

وطول مسجد دمشق مئة وست وخمسون ذراعاً بالسوداء، من حائطه الشمالي إلى قبلته. وعرضه أكثر من طوله وهو مئة وسبعون ذراعاً، والرواق منه مقدار نصف ذرع الطول. وفي رواقه اثنان وأربعون عموداً، عليها ثلاثة صفوف من الحنايا. والعُمُد كلها رخام مجزّع، والحنايا وحيطان المسجد كلها إلى حد سقفه منقوشة أبدع نقش بالفسيفساء الملون المدهون والمذهب، يخطف الطرف.

وفي وسطه قُبّة ارتفاعها خمسين ذراعاً، منقوشة مذهبة الباطن، مقرمدة من خارجها بالقراميد الرصاص، وكذلك جميع سطوح الجامع. وأرض صحنه كلها مفروشة بالمرمر الأبيض. وكذلك حيطانه كلها في صحنه وسائر أروقته منقوشة مذهبة بالفسيفساء.

ولما تمّم الوليد بن عبد الملك بناءه اصطبح فيه أربعين يوماً يشرب الخمر على قيانه ثم قال: أما أنا فقد أخذت صفو هذا البيت وتركت للناس كدره[١٦١]. (كذا)

وقد ذكر بعض أهل العلم أن حائطه القبلي بناه هود النبي عليه السلام.

ومن طريف الاتفاقات فيه أن كُتِبَ في حائطه القبلي سور من القرآن بالفسيفساء المذهب في تضاعيف النقش. فأول سورة كتبت من ذلك (والنازعات غرقا) لسورة النازعات ، ٧٩، الآية ١) واتفق أن وقع على نفس حنية القبلة تجاه وجه الإمام من آيات القرآن (عاملة ناصبة. تصلى ناراً حامية) لسورة الغاشية، ٨٨، الآية ٣ وما بعدها).

قالوا: وفي سقف المسجد خمس طلسمات للحيّات، والعقارب، والعناكب، والخطاطيف والغربان، فما يدخله شيء من هذا الحيوان.

ومن عيوب هذا المسجد أن قبلته منحرفة عن سمت القبلة الصحيحة إلى نحو المشرق كثيراً[١٦٢].

١٦١- هذا الكلام على عهدة المهلّبي.

١٦٢- وهذا الكلام غير صحيح لأن الحائط القبلي للجامع الأموي يكاد ينطبق على الجنوب الجغرافي، أما السمت الصحيح للقبلة من دمشق فينبغي أن يكون منحرفاً عن الجنوب الجغرافي باتجاه (عكس عقارب الساعة) بمقدار ١٥ درجة تقريباً.

قالوا: وكان من رسم الروم إذا استرمّت[١٦٣] كنيسة أن يسخروا من وجدوه من الغرباء في مدنهم. وكانت قريش قديماً قبل الإسلام يسافرون إلى الشام في التجارات، فاتفق أن دخل عمر بن الخطاب في أيام احتيج فيها إلى تسخير الغرباء، فتسخّر في الكنيسة أياماً[١٦٤].

وفي ظهر الجامع كانت خضراء معاوية وهي داره، وهي الآن مجلس الشرطة ودار الضرب.

ومن طرائف دمشق، دار تعرف بدار قرمان. وهي الآن ثابتة، فيها ثلاث وستون بئراً كلها ماء معين[١٦٥].

وبظاهر دمشق وادي البنفسج. تكسيره نحو أربعة أميال ونهر بردى يشقه، فالوادي كله مملوء بشجر السرو، لاتصل الشمس إلى أكثر أرضه. وأرضه كلها بنفسج متشح بعضه ببعض، في نهاية الحُسْن.

وبدمشق عدة من ألوان الورد. فمنها أصفر إبريز، وأسود، وسمّاقي، وورد موجّه، للورقة لونان من خارجها وداخلها. وليس الزهر على وجه الأرض ببلد أكثر منه بدمشق[١٦٦].

١٦٣- إذا احتاجت الترميم.

١٦٤- لم يَرِد في أي مصدر آخر أن عمر بن الخطاب وصل إلى دمشق في حياته.

١٦٥- يتفرد المهلّبي في ذكر هذه الدار.

١٦٦- مخطوطة الامبروزيانا المنشورة في مجلة معهد المخطوطات العربية.

رَفَحْ

قال المهلّبي: ورفح مدينة عامرة فيها سوق وجامع ومنبر وفنادق، وأهلها من لخم وجُذام وفيهم لصوصية وإغارة على أمتعة الناس، حتى إن كلابهم أضر كلاب أرض بسَرقَة ما يسرق مثله الكلاب، ولها والي معونة برسمه عدة من الجند، ومن رفح إلى مدينة غزة ثمانية عشر ميلاً. وعلى ثلاثة أميال من رفح من جنب هذه غزة شجر جمّيز مصطف من جانبي الطريق عن اليمين والشمال نحو ألف شجره متصلة أغصان بعضها ببعض مسيرة نحو ميلين[١٦٧]. وهناك منقطع رمل الجفار ويقع المسافرون في الجلَد[١٦٨].

الرّملة

قال العزيزي: والرملة قصبة فلسطين، وهي محدثة، وبينها وبين البيت المقدس مسيرة يوم. وقال: الرملة لم تكن مدينة قديمة وإنما كانت المدينة لدّ، فأخربها سليمان بن عبد الملك وبنى مدينة الرملة، وبينهما نحو ثلاثة فراسخ، ولدّ في ناحية المشرق وكان لعبد الملك داراً بالرملة، وجرّ إلى الرملة قناة ضعيفة للشرب منها،

١٦٧- تختص غزة والمدن المجاورة لها بشجر الجمّيز حتى يومنا هذا، وهو شجر يطرح ثماراً حلوة المذاق شبيه بالتين.

١٦٨- معجم البلدان، مادة رفح.

وأكثر شربهم الآن من الآبار العذبة ومن صهاريج يجتمع فيها مياه المطر في سهل من الأرض[169].

سَلَمية

قال في العزيزي: ومدينة سلمية على ضفة برية كثيرة المياه والشجر، رخية خصبة[170].

سيسية (سيس)

قال في العزيزي: وبين حصن سيسية وبين عين الزربة أربعة وعشرون ميلاً، وبين حصن السيسية أيضاً وبين المصيصة أربعة وعشرون ميلاً[171].

شيزر

ومدينة شيزر هي مدينة جليلة يشقّها النهر المقلوب[172] عليه القنطرة وهي عامرة كثيرة الفواكه مخصبة، وبينها وبين حماة تسعة أميال وبينها وبين حمص ثلاثة وثلاثون ميلاً، ومن شيزر إلى أنطاكية ستة وثلاثون ميلاً، ولها سور من لبن، ولها ثلاثة أبواب، والعاصي يمرّ بها مع السور من شماليها[173].

١٦٩- تقويم البلدان، ص ٢٤١، ويقتبس ياقوت أيضاً مقطعاً صغيرة في مادة الرملة.

١٧٠- تقويم البلدان، ص٢٦٥.

١٧١- تقويم البلدان، ص٢٥٧.

١٧٢- نهر العاصي.

١٧٣- تقويم البلدان، الهامش ٣٠ صفحة ٢٧٢. ما يخص المدينة في الجدول ص٢٦٣.

صيدا

قال في العزيزي: ومن مدينة صيدا إلى مدينة مشغرا، وهي من أنزه بلد في تلك الناحية وادٍ في نهاية الحسن بالأشجار والأنهار، أربعة وعشرون ميلاً، من مدينة مشغرا إلى مدينة تُعْرَف بكامد، قاعدة تلك البلاد، قديماً ستة أميال. ومن مدينة كامد إلى ضيعة تعرف بعين الجر ثمانية عشر ميلاً. ومن عين الجر إلى مدينة دمشق ثمانية عشر ميلاً. فجملة المسافة بين صيدا ودمشق ستة وستون ميلاً[١٧٤].

طبرية

قال العزيزي: وبين طبرية وبين عمّان اثنان وسبعون ميلاً، وبين طبرية أيضاً وبين جب يوسف ستة أميال. ومدينة طبرية في الغور على ضفة بحيرة لها طولها اثنا عشر ميلاً وعرضها ستة أميال. والجبل من غربي المدينة، والبحيرة من شرقيها، والجبال تدور بها[١٧٥].

١٧٤- تقويم البلدان، ص٢٤٩. ومشغرا معروفة اليوم في البقاع الغربي من لبنان، وكامد هي كامد اللوز وعين الجر هي عنجر.

١٧٥- تقويم البلدان ص٢٤٣.

طرابلس

قال في العزيزي: وبين طرابلس وبعلبك أربعة وخمسون ميلاً. وبين طرابلس ودمشق تسعون ميلاً. قال ومنها إلى أنطرطوس[١٧٦] ثلاثون ميلاً[١٧٧].

طرسوس

وقرأت في كتاب المسالك والممالك الذي وضعه الحسن بن أحمد المهلّبي للعزيز المستولي على مصر: فأما مدينة طرسوس فهي من الإقليم الخامس، وعرضها ست وثلاثون درجة. وارتفاع الثغور بجميع جباياتها ووجوه الأموال بها مائة ألف دينار على أوسط الارتفاع، تنفق في المراقب والحرس والقوائين والركاضة والموكلين بالدروب والمخاض[١٧٨]، وغير ذلك مما جانسه، وكانت تحتاج بعد ذلك لشحنتها من الجند وما يقوم للمماليك وراتب تعاريفها للصوائف والشواتي[١٧٩] في البر والبحر وعمارة الصناعة على الاقتصاد إلى مائة وخمسين ألف دينار، وعلى التوسعة إلى ثلاثمائة ألف دينار[١٨٠]. فأمّا ما يلقاها من بلاد العدو

١٧٦- طرطوس الحالية.

١٧٧- تقويم البلدان، ص٢٥٣.

١٧٨- أصناف مختلفة للجند المرابطين طوال الوقت لمراقبة تحركات الأعداء قرب هذا الثغر.

١٧٩- الصوائف والشواتي هي الغزوات الصيفية والشتوية.

١٨٠- هذه المعلومات تمثل ميزانية نفقات المدينة، وتبدو باهظة جداً حسب مقاييس ذلك الزمن.

ويتصل بها فإنها من جهة البر، وما يسامت الثغور الجزرية تواجه بلاد الفندق[١٨١] من بلد الروم، وبعض الناطُلين[١٨٢]، ومن جهة البحر بلاد سلوقية.وكانت عواصم هذه الثغور من ناحية الشام، أنطاكية وبلاد الجُومَة[١٨٣] وقُورُس[١٨٤]. فأما أهل هذه الثغور ومن كان يسكنها وأحوال البلاد ومقاديرها، فإن طرسوس كانت أجلّها مدينة وأكثرها أهلاً، وأغصّها أسواقاً، وليس على وجه الأرض مدينة جليلة إلا ولبعض أهلها دار حُبُس عليها حُبُس[١٨٥] نفيس وغلمان برسم تيك الدار بأحسن العُدّة وأكمل الآلة، يقوم بهم الحبس الذي عليهم، وكان أكثر ذلك لأهل بغداد، فإنه كان لهم بها ولغيرهم من وجوه أهل البلدان وذوي اليسار منهم جلة الغلمان، مقيمين عليهم الوقوف السنية، والأرزاق الدارّة، ليس لهم عمل إلا ارتباط فرهة الخيل وتخريجها في الطراد والعمل عليها بسائر

١٨١- يقول ياقوت في معجم البلدان، مادة الفندق: "الفُنْدُقُ: بالضم ثم السكون ثم دال مضمومة أيضاً، وقاف: موضع بالثغر قرب المصيصة، وهو في الأصل اسم الخان بلُغة أهل الشام".

١٨٢- يقول ياقوت في مادة ناطُلِين: آخره نون، بلد بالقسطنطينية.

١٨٣- في معجم البلدان الجُومَةُ: بالضم، من نواحي حلب.

١٨٤- يقول ياقوت في مادة قُورُسُ: بالضم ثم السكون، وراء مضمومة، وسين مهملة: مدينة أزليّة بها آثار قديمة وكورة من نواحي حلب وهي الآن خراب وبها آثار باقية، وبها قبر أوريّا بن حنّان، طولها أربع وستون درجة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة، داخلة في الأقليم الرابع بخمس وأربعين دقيقة.

١٨٥- الحُبُس الأوقاف، وفي لسان العرب نقلاً عن الليث: الحُبُس جمع الحَبِيسُ، وهو الفرس يجعل حَبِيساً في سبيل الله يُغْزى عليه".

السلاح، يعملون ذلك في صدور أيامهم، ويتصرفون في أعجازها إلى منازل فيّاحة، فيها البساتين والمياه الجارية والعيش الرغد. وكان أهل البلد في نفوسهم على هذه الصفة من ركوب الخيل والعمل بالسلاح ليس فيهم من يعجز عن ذلك ولا يتخلف عنه، حتى أن دور المتاجر الدنية والصنائع الوضيعة كانوا يلحقون بالطبقة العليا في الفروسية والشجاعة وارتباط الخيل وإعداد السلاح. وكانت غزواتهم تتصل، ومن الغنائم والمقاسم لهم معيشة لا تنقطع. فأمّا أهل البلد، فكانوا من سائر أقطار الأرض بخَلْق حسن وألوان صافية، وفيهم رقيق وأجسام عبلة، والأغلب على ألوانهم البياض والحمرة والسمرة الصافية. وكان في أكثرهم جفاء وغلظة على الغريب، إلا من كان منهم قريب عهد بالغربة، وكذلك الشحّ كان فيهم فاشياً إلاّ في الغريب، وغلب على السوقة والمستخدمين قوم من الخوز[١٨٦] وسفلة العجم. ومن كانت فيه فسولة عن الحرفة، وكسل عن طلب المعاش فأظهروا زهداً وورعاً، وأعلنوا بالنصب[١٨٧]، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر[١٨٨].

١٨٦- من خوزستان، وهو إقليم يقع اليوم في غربي إيران.

١٨٧- أي مناصبة آل البيت العداء. ومصطلح النواصب في الثقافة الشيعية يطلق على أنصار بني أمية، ومن اللافت أن المقدسي البشاري الذي زار أقاليم بلاد العجم (إيران الحالية) في الفترة نفسها يتحدث عن وجود النواصب بكثرة بينهم.

١٨٨- والمقصود في قوله أخذهم أخذ عزيز مقتدر، سقوط طرسوس والمصيصة بيد نقفور فوكاس سنة ٣٥٤ هجرية [٩٦٥م]، ولغة التشفّي من هذه الفئة (الناصبة) واضحة في سياق النص، وكأنه

قال: فأمّا أهل البلد وأولاد المجاهدين وأولاد الغلمان وأولاد خُراسان فكانوا من الأخلاق السمحة، والنفوس الكريمة، والهمم العالية والمحبة للغريب على ما ليس عليه أحد، ولكنهم كانوا في تقيّة من هؤلاء الأوباش، فهذا الأكثر من حال طرسوس. وأما ما سوى ذلك من مدن الثغر فعلى هذا الوصف وهذا النعت، وخاصة المصيصة. قال: وكان يعمل بها- يعني بالثغور- ثياب كانت تسمى الشفايا مثل رفيع الدبيقي تحمل إلى كل بلد، وبالثغر زبيب لا عجم فيه كالقشمش[189]، ويقطع إلى الثغور الجارح من بلد الروم، فتؤخذ فيه البزاة الفره، وقد كان في جبال الثغر أيضاً أوكار للجارح والكلاب السلوقية الموصوفة من بلاد سلوقية. فهذه أحوال الثغر ومن فيه ولم تزل أحواله تجري على الانتظام والرخاء والسلامة والغزو متصل والمعايش رغده، والسبل آمنة ما دام الغزاة إليهم من العراق ومن مصر متصلين. فلما زهد الناس في الخير، وقع بينهم في نفوسهم من التنافس والتحاسد والغلّ ما وقع، وخاصة بين الغلمان الثملية[190]، وابن الزيّات[191]، و[بين] المعروف بسيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان[192].

يريد أن يقول إن سقوط طرسوس كان بسبب مناصبة آل البيت العداء. ومن الواضح أن المهلّبي زار هذه البلاد قبيل سقوطها، بدليل استرساله بوصف أدقّ تفاصيلها.

١٨٩- أي لا بذور فيه والقشمش نوع من الفاكهة البرية يسمى أيضاً عنب الذئب.

١٩٠- الغلمان الثملية نسبة إلى الحصون الثملية التي يذكرها ابن العديم نقلاً عن تاريخ أبي اسحق السقطي صاحب كتاب الرديف، ففي أحداث سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة قال: "وفيها وردت=

عَرْقة

قال في العزيزي: ومن أعمال دمشق مدينة عَرْقة، وهي آخر عملها من جهة الشمال على ساحل البحر، وبين عَرْقة وبين طرابلس على سمت الجنوب اثنا عشر ميلاً، وبين عَرْقة وبين بعلبك ستة وستون ميلاً، وهي عن البحر على نحو من فرسخ[١٩٣].

عَسْقلان

قال العزيزي: ومدينة عَسْقلان هي على ضفة البحر على تلعة، وهي من أجل مدن الساحل وليس لها مينا، وشرب أهلها من آبار حلوة، وبينها وبين غزّة اثنا عشر ميلاً، وبينها وبين الرملة ثمانية عشر ميلاً[١٩٤].

= الأخبار بإغارة الروم على الحصون الثملية واجتياح بلد الإسلام وهرب بقايا أهل الثغور عن معاقلهم إلى الأقاصي".

١٩١- ابن الزيّات هو صاحب طرسوس الذي قطع الخطبة لسيف الدولة الحمداني، وأعلن عليه العصيان واضطر لمحاربة الدمستق بأربعة آلاف مقاتل في سنة ٣٥٠ هجرية، حسبما يذكر ابن الأثير في تاريخه. وعندما انهزم عاد إلى طرسوس فأعاد أهل البلد الخطبة لسيف الدولة، فما كان من ابن الزيّات إلا أن ألقى بنفسه في نهر تحت قصره فغرق ومات منتحراً.

١٩٢- بغية الطلب لابن العديم، ١/ ١٧٨-١٨٠ .

١٩٣- تقويم البلدان، ص٢٥٥.

١٩٤- تقويم البلدان، ص ٢٣٩.

عكّا

قال العزيزي: هي جليلة وشرب أهلها من قناة تجري إلى المدينة، ولها مينا جليل واسع كانت الصناعة به.

ومنها إلى مدينة صور اثنا عشر ميلاً. وبين عكا وطبرية أربعة وعشرون ميلاً[195].

عَمتَا

قال المهلّبي من عَمّان إلى عمتا، وبها يُعملُ النُبُل الفائقة وهي في وسط الغور، اثنا عشر فرسخاً ومنها إلى مدينة طبرية اثنا عشر فرسخاً[196].

عَمْواس

قال المهلّبي: كورة عمواس هي ضيعة جليلة على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس[197].

عين زربة

قال في العزيزي: إن بين سيس وعين زربة أربع وعشرين ميلاً[198].

١٩٥- تقويم البلدان، ص ٢٤٣ والحاشية في الصفحة ٢٧٠.

١٩٦- معجم البلدان، مادة عمتا.

١٩٧- معجم البلدان، مادة عمواس.

١٩٨- تقويم البلدان، ص ٢٥١. وقال إن الناس غيّروها وسموها ناورزا.

غزة

وفي كتاب المهلّبي، أن غزة والرملة من الإقليم الرابع. وغزّة مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقلّ وهي من نواحي فلسطين غربيَ عسقلان.

وغزّةُ أيضاً بلد بإفريقية بينه وبين القيروان نحو ثلاثة أيام تنزلها القوافل القاصدة إلى الجزائر. ذكر ذلك أبو عبيد البكري والحسن بن محمد المهلّبي في كتابيهما[199].

قيسارية

قال العزيزي: وبينها وبين الرملة على ضفة البحر اثنان وثلاثون ميلاً. قال: ومدينة قيسارية مدينة جليلة. قال: ومنها إلى مدينة عكا ستة وثلاثون ميلاً[200].

كفر طاب

قال في العزيزي: ومدينة كفر طاب أهلها أخلاط من اليمن. وبينها وبين شيزر اثنا عشر ميلاً، وكذلك بينها وبين المعرة[201].

١٩٩- معجم البلدان، مادة غزة.

٢٠٠- تقويم البلدان، ص ٢٣٩.

٢٠١- تقويم البلدان، ص٢٦٣.، وفي معجم البلدان: "كفرطاب: بالطاء مهملة، وبعد الألف باء موحدة: بلدة بين المعرّة ومدينة حلب في بَرّية مُعْطَشة ليس لهم شرب إلاّ ما يجمعونه من مياه الأمطار في الصهاريج"

اللاذقية

قال في العزيزي: ومدينة اللاذقية جليلة من أعمال حمص[٢٠٢] ومنها إلى جبلة اثنا عشر ميلاً، ومن اللاذقية إلى أنطاكية ثمانية وأربعون ميلاً. قال أيضاً: وهي أجل مدينة في الساحل منعة وعمارة ولها مينا عظيم[٢٠٣].

مآب (مؤاب)

قال في العزيزي: وبينها وبين عمّان على طريق الموجب ثمانية وأربعون ميلاً[٢٠٤].

مَرعش

قال في العزيزي: وبينها وبين أنطاكية ثمانية وسبعون ميلاً، وبينها أيضاً بين مخاضة العلوي على نهر جيحان اثنا عشر ميلاً[٢٠٥].

٢٠٢- أي من أعمال جند حمص حسب التقسيم الإداري للشام الذي أتت به الفتوحات الإسلامية وبقي سائداً إلى الدولتين النورية والصلاحية.

٢٠٣- تقويم البلدان، ص٢٥٧.

٢٠٤- تقويم البلدان ص١٤٧.، وفي معجم البلدان "مَآبُ: بعد الهمزة المفتوحة ألف، وباء موحدة، بوزن مَعاب، وهو في اللغة المرجع، وقد ذكرت من اشتقاق هذا الموضع في عمان ما إذا نظرته عجبت منه: وهي مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء".

٢٠٥- تقويم البلدان، ص٢٦٣.

المَصيصَةُ

وقال الحسن بن أحمد المهلّبي العزيزي في كتاب المسالك والممالك الذي وضعه للعزيز المستولي على مصر، وذكر المصيصة: فكانت تسمى بغداد الصغيرة لأنها كانت جانبين على النهر، وكان بها من أهلها فتيان فرسان ظرفاء شجعان. قال: فأمّا خاصيات الثغر، فإنه كان يعمل بالبلد الفراء المصيصية، تحمل إلى الآفاق، وربما بلغ الفرو منها ثلاثين ديناراً، ويعمل بها عيدان السروج التي يبالغ بثمنها إلى هذه الغاية. ولم يكن على وجه الأرض بلد يعمل فيه الحديد المحزوز للكراسي الحديد واللجم والمهاميز والعمد والدبابيس كما يعمل بالثغور[٢٠٦].

معرّة النعمان

قال في العزيزي: ومعرّة النعمان مدينة جليلة العمارة، كثيرة الفواكه والثمار والخصب، وشُرْب أهلها من الآبار[٢٠٧].

معرّة مصرين

وقال الحسن بن أحمد المهلّبي في كتابه: وكان بلد معرّة مصرين إلى جبل السمّاق بلد التين والزبيب والفستق والسمّاق وحبة

٢٠٦- بغية الطلب لابن العديم ١/ ١٥٥-١٥٦ . واقتبس أيضاً ياقوت الحموي في معجم البلدان هذا المقطع حول المصيصة من المهلّبي: " قال المهلّبي: ومن خصائص الثغر أنه كانت تُعمل ببلد المصيصة الفِراءُ تُحمل إلى الآفاق. وربما بلغ الفَرْوُ منها ثلاثين ديناراً".

٢٠٧- تقويم البلدان، ص٢٦٥.، وهي موطن الشاعر أبو العلاء المعرّي، وتقع حالياً ضمن محافظة إدلب.

الخضراء، يخرج عن الحدّ في الرخص، ويحمل إلى مدن العراق، ويجهز إلى كل بلد[208].

مؤتة

قال المهلّبي: مآب وأذرُح مدينتا الشراة[209]، على اثني عشر ميلاً من أذرُح ضيعة تعرف بمؤتة بها قبر جعفر بن أبي طالب[210].

نابلس

قال في العزيزي: إن يريعم لما صار معه عشرة أسباط وخرج على بني سليمان بن داوود سكن نابلس وبنى على جبل بنابلس هيكلاً عظيماً وكفّر داوود وسليمان وغيرهما من أنبياء بني إسرائيل، وقال بنبوة موسى وهرون ويشوع، وشرع للسَمَرة دينهم، وصدّهم عن الحجّ إلى البيت المقدس لئلاّ يطّلعون على فضل بني سليمان فيتغيرون على يريعم. ومن حينئذ ابتدأ دين السَمَرة بعد أن لم يكن وصار حجّهم إلى جبل بظاهر نابلس[211].

٢٠٨- بغية الطلب لابن العديم، ١/ ١٣٤.

٢٠٩- بلاد الشراة تقع الآن جنوب المملكة الأردنية الهاشمية من جهة الحجاز.

٢١٠- معجم البلدان، مادة مؤتة.

٢١١- تقويم البلدان، ص٢٤١. والتشابه واضح مع قصة بناء الوليد بن عبد الملك للمسجد الأقصى، وهذه القصة منقولة عن سفر الملوك الأول، الإصحاحان ١٢ و١٣.

نهر أبي فطرس

قال المهلّبي: على اثني عشر ميلاً من الرملة في سمت الشمال، نهر أبي فطرس. ومخرجه من أعين في الجبل المتصل بنابلس، وينصب في البحر الملح بين يدي مدينتي أرسوف ويافا، به كانت وقعة عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس مع بني أمية، فقتلهم في سنة ١٣٢هـ. فقال إبراهيم مولى قائد العبلي يرثيهم[٢١٢].

أفاض المدامع قتلى كدا	وقتلى بكثوة لم ترمس
وقتل بوج وباللابتين	يثرب هم خير ما أنفس
وبالزابيين نفوس ثوت	وأخرى بنهر أبي فطرس
أولئك قوم أناخت بهم	نوائب من زمن متعس
إذا ركبوا زينوا المركبين	وإن جلسوا زينة المجلس
هم أضرعوني لريب الزمان	وهم ألصقوا الرغم بالمعطس
فما أنس لا أنس قتلاهم	ولا عاش بعدهم من نسي

قال المهلّبي: وعلى نهر أبي فطرس أوقع أحمد بن طولون بالمعتضد فهزمه[٢١٣].

٢١٢- ربما كان اقتباس أبيات الشعر لياقوت.

٢١٣- يصحح ياقوت هذه المعلومة بقوله: "إنما كانت الوقعة بموضع يقال له الطواحين بين المعتضد وخمارويه بن أحمد بن طولون".

قال وعليه أخذ العزيز هفتكين التركي وفلت عساكر الشام عليه، وبالقرب منه أوقع القائد فضل بن صالح بأبي تغلب حمدان فقتله، ويقال إنه ما التقى عليه عسكران إلا هزم المغربي منهما[٢١٤].

الهارونية

قال في العزيزي: ومدينة الهارونية آخر حدود الثغور الشامية مما يتصل بالحدود الجزرية، بينها وبين الكنيسة السوداء اثنا عشر ميلاً[٢١٥].

٢١٤- معجم البلدان، مادة نهر أبي فطرس، وقد اقتبس صاحب تقويم البلدان من المهلّبي أيضاً حول النهر واسماه نهر العوجاء : "ومن كتاب المسالك والممالك المعروف بالعزيزي، أن نهر العوجاء يسمى نهر أبي فُطرس، وهو شمالي مدينة الرملة باثني عشر ميلاً. قال وما التقى عليه جيشان إلاّ غلب الغربي منهما وانهزم الشرقي فإن عليه انهزم المعتضد من خمارويه بن أحمد ابن طولون وعليه انتصر العزيز خليفة مصر الفاطمي وأسر هفتكين التركي مقدم جيش الشرق. تقويم البلدان ص٤٨.

٢١٥- تقويم البلدان، ص٢٣٥. وفي معجم البلدان: "الهَارُونِيّةُ مدينة صغيرة قرب مَرْعش بالثغور الشامية في طرف جبل اللُّكّام، استحدثها هارون الرشيد وعليها سوران وأبواب حديد ثم خرّبها الروم فأرسل سيف الدولة غلامه غرقويه فأعاد عمارتها، وهي اليوم من بلاد بني ليون الأرمني".

ذكر الجزيرة بين دجلة والفرات

آمد

قال في العزيزي: وآمد مدينة جليلة عليها حصن عظيم وسور من الحجارة السود التي لا يعمل فيه الحديد ولا تضرها النار والسور يشتمل عليها وعلى عيون ماء ولها بساتين ومزارع كثيرة[٢١٦].

بَرْقَعِيدُ

قال المهلّبي في كتابه المعروف بالعزيزي: ومن مدن الجزيرة برقعيد، وهي مدينة لها سور وأسواق كثيرة، ومنها إلى بلد أحد عشر فرسخاً، ومنها إلى الموصل سبعة عشر فرسخاً[٢١٧].

بلد

وقال في العزيزي: بلد على دجلة ومنها إلى الموصل ستة فراسخ[٢١٨].

٢١٦- تقويم البلدان، ص٢٨٧، وتسمى ديار بكر وتقع حالياً في تركيا. ومنها الخطاط المشهور حامد الآمدي.

٢١٧- تقويم البلدان، ص ٢٧٤. ضبطها ياقوت في معجم البلدان، مادة برقعيد، بالفتح، وكسر العين وياء ساكنة، ودال. وقال هي بليدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين مقابل باشْزَّى، ثم قال إنها كانت مزدهرة في القرن الرابع الهجري أما في زمنه، أي في القرن السابع، فكانت "خراباً صغيرة حقيرة، وأهلها يُضرب بهم المثل في اللصوصية، يقال: لصٌ برقعيدي".

٢١٨- تقويم البلدان، ص٢٨٥.

تل أعْفَر

قال في العزيزي: وبين سنجار وتل أعفر خمسة فراسخ، وبين تل أعفر وبين بلد ستة فراسخ[٢١٩].

الحديثة

قال في العزيزي: ومن تحت حديثة الموصل يصبّ الزاب الأكبر إلى دجلة، وبينها وبين الموصل أربعة عشر فرسخاً[٢٢٠].

الرُّها

قال في العزيزي: والرُّها مدينة رومية عظيمة، فيها آثار عجيبة وهي بالقرب من قلعة الروم من الجانب الشرقي الشمالي عن الفرات[٢٢١].

٢١٩- تقويم البلدان، ص٢٨٥. وفي معجم البلدان: "تَلُّ أَعْفَرَ: هو اسم قلعة وربض بين سنجار والموصل في وسط وادٍ فيه نهر جارٍ، و تل أعْفَر أيضاً: بليدة قرب حصن مَسْلَمَة بن عبد الملك بين حصن مسلمة والرقة من نواحي الجزيرة، وكان فيها بساتين وكروم، هكذا وجدته في رسالة السرخسي"..

٢٢٠- تقويم البلدان، ص ٢٨٧.

٢٢١- تقويم البلدان، ص ٢٧٧، وصنفها من ديار مضر.

حرّان

قال في العزيزي: والجبل منها في سمت الجنوب والشرق على فرسخين، وتربتها حمراء، وشرب أهلها من قناة تجري من عيون خارج المدينة، ومن الآبار وهي والرقة من ديار مُضَر[٢٢٢].

رأسُ عَيْن

قال في العزيزي: ورأس عين تسمى عين وردة، وهي أول مدن ديار ربيعة من جهة ديار مُضَر، وهي رأس ماء الخابور[٢٢٣].

السّن

قال في العزيزي: ومدينة السّن على شاطئ دجلة وهي عامرة وعندها يصب الزاب الأصغر إلى دجلة وبينها وبين الحديثة عشرة فراسخ[٢٢٤].

٢٢٢- تقويم البلدان، ص٢٧٧، وقال صاحب التقويم إنها كنت مدينة عظيمة أما في زمنه أي في القرن الثامن الهجري فهي خراب.

٢٢٣- تقويم البلدان، ص٢٧٩.

٢٢٤- تقويم البلدان، ص٢٨٩.

قَرقيسيا

قال في العزيزي: وقرقيسيا مدينة شرقي الفرات، والخابور الذي يخرج من رأس عين فيصب إلى الفرات قريباً منها، وهي مدينة الزبّاء صاحبة جذيمة الأبرش وبها عمارة[٢٢٥].

ماكسين

قال في العزيزي: بينها وبين قرقيسيا سبعة فراسخ. قال وبين ماكسين وسنجار اثنان وعشرون فرسخاً[٢٢٦].

نصيبين

من العزيزي، ونصيبين قصبة ديار ربيعة ونهرها نهر الهرماس وبها عقارب قاتلة[٢٢٧].

٢٢٥- تقويم البلدان، ص٢٨١، وعدّها من ديار مُضَر.

٢٢٦- تقويم البلدان، ص٢٨٣.

٢٢٧- تقويم البلدان، ص ٢٨٣. وفي معجم البلدان، "وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ".

ذكر العراق

وقال في العزيزي: في أطراف العراق من الغرب القادسية وهيت. ومن الشرق حلوان، ومن الشمال سُرّ من رأى ومن الجنوب الابلّة[228]

أقُر

وفي كتاب العزيزي تأليف أبي الحسن المهلّبي: بين الأخاديد وبين أقر ثلاثون ميلاً. وهي بين البصرة والكوفة بالبادية، وبينها وبين سلمّان عشرون فرسخاً[229].

البَردان

قال في العزيزي: ومدينة البردان مدينة عامرة على شاطئ دجلة الشرقي، وبينها وبين بغداد خمسة فراسخ[230].

٢٢٨- تقويم البلدان، ص٢٩٣. وفي معجم البلدان "الأُبُلّة بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدمُ من البصرة".

٢٢٩- معجم البلدان، مادة أقر.

٢٣٠- تقويم البلدان، ص٣٠١.

جَلَوْلا

قال في العزيزي: وجَلَوْلا بينها وبين مدينة خانقين سبعة فراسخ[٢٣١].

الحيرة

قال في العزيزي: مدينة قديمة على ثلاثة أميال من الكوفة، وكانت منازل آل النعمان بن المنذر، وبها تنصّر المنذر بن أمرؤ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة. والحيرة على موضع يقال له النجف. زعم الأوائل أن بحر فارس كان يتصل به، وبينهما اليوم مسافة بعيدة[٢٣٢].

خانقين

قال في العزيزي: وخانقين قرية بينها وبين قصر شيرين امرأة كسرى الذي كانت تصيّف فيه سبعة فراسخ، وبه آثار الملوك

٢٣١- تقويم البلدان، ص٣٠٧. وفي معجم البلدان، " جَلُولاء: بالمدّ: طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ، وهو نهر عظيم يمتد إلى بعقوبا ويجري بين منازل أهل بعقوبا ويحمل السفن إلى باجسرا، وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦، فاستباحهم المسلمون، فسمّيت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون، وقال سيف: قتل الله، عز وجل، من الفرس يوم جلولاء مائة ألف فجلّلت القتلى المجالَ ما بين يديه وما خلفه، فسميت جلولاء لما جلّلها من قتلاهم، فهي جلولاء الوقيعة".

٢٣٢- تقويم البلدان، ص٢٩٩.

العظيمة. ومن القصر المذكور إلى مدينة حلوان ستة فراسخ، وهي حدّ العراق من جهة المشرق[٢٣٣].

الدسكرة

قال في العزيزي :الدسكرة قديمة بها منازل الملوك من الفرس وأبنية عجيبة وآثار قديمة، ومنها إلى مدينة جلولا ستة فراسخ[٢٣٤].

سُرّ من رأى

وذكر الحسن بن أحمد المهلّبي في كتابه المسمّى بالعزيزي قال: وأنا اجتزتُ بسُرّ من رأى منذ صلاة الصبح في شارع واحد مادّ عليه من جانبيه دور كأن اليد رفعت عنها للوقت لم تعدم إلاّ الأبواب والسقُوف، فأمّا حيطانها فكالجُدد، فما زلنا نسير إلى بعد الظهر حتى انتهينا إلى العمارة منها، وهي مقدار قرية يسيرة في وسطها، ثم سرنا من الغد على مثل تلك الحال فما خرجنا من آثار البناء إلى نحو الظهر، ولا شكّ أن طول البناء كان أكثر من ثمانية فراسخ[٢٣٥].

٢٣٣- تقويم البلدان، ٣٠٧.

٢٣٤- تقويم البلدان، ٣٠٧.

٢٣٥- معجم البلدان، مادة سامرّاء.

قال في العزيزي: من مدينة سُرَّ من رأى إلى عكبرا اثنا عشر فرسخاً. قال: وهي على شاطئ دجلة الشرقي وهو بلد صحيح الهواء والتربة. قال: وليس فيها عامر اليوم سوى مقدار يسير كالقرية[٢٣٦].

صرصر

قال في العزيزي: ومن بغداد إلى مدينة صرصر فرسخان ومن صرصر إلى مدينة الملك فرسخان[٢٣٧].

عكبرا

قال في العزيزي: وبين عكبرا وبين مدينة البردان أربعة فراسخ[٢٣٨].

عَيْنُ جَمَلٍ

وفي كتاب العزيزي: من البصرة إلى عين جمل لمن أراد الكوفة ثلاثون ميلاً، ثم إلى عين صَيد ثلاثون ميلاً[٢٣٩].

٢٣٦- تقويم البلدان، ص٣٠١.

٢٣٧- تقويم البلدان، ص٣٠٢. وفي معجم البلدان: "وصرصر: قريتان من سواد بغداد، صرصر العليا وصرصر السفلى، وهما على ضفة نهر عيسى، وربما قيل نهر صرصر فنسب النهر إليهما، وبين السفلى وبغداد نحو فرسخين".

٢٣٨- تقويم البلدان، ص ٣٠١. وقال صاحب معجم البلدان: "وهو اسم بليدة من نواحي دُجَيل قرب صريفين وأوَانا، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ".

٢٣٩- معجم البلدان، مادة عين جمل ويضيف ياقوت " بنواحي الكوفة من النجف قرب القُطقُطانة وهي مع عدة عيون يقال لها العيون يُرْحل منها إلى القيارة مات عندها جَمل فسميت به وقيل: بل الذي استخرجها اسمه جمل".

عَينُ صَيد

وفي كتاب العزيزي: من البصرة إلى عين صيد عملُ ثلاثين ميلاً[٢٤٠].

فم الصلح

قال في العزيزي: ومدينة فم الصلح بينها وبين مدينة جبّل اثنا عشر فرسخاً. ومن فم الصلح إلى مدينة واسط سبعة فراسخ، وبها عَرّسَ المأمون ببوران ابنة الحسن بن سهل وزيره[٢٤١].

قصر ابن هبيرة

قال في العزيزي: من قصر ابن هبيرة إلى عمود الفرات الأعظم فرسخان[٢٤٢].

٢٤٠- معجم البلدان، مادة عين صيد، ويقول في المعجم: "و من صاد يصيد صيداً سميت بذلك لكثرة السمك الذي كان يصاد بها وهي بين واسط العراق وخفّان بالسواد مما يلي البر تُعدُّ في الطف بالكوفة. قال محمد بن موسى عين صيد. موضع من ناحية كلواذة من السواد بين الكوفة والحزن حكاه ابن حبيب".

٢٤١- تقويم البلدان، ٣٠٥.

٢٤٢- تقويم البلدان، ص٣٠٥. وفي معجم البلدان، "قَصْرُ ابن هُبَيْرَةَ: ينسب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ، كان لمّا وَلِيَ العراق من قبل مروان بن محمد بن مروان بَنَى على فُرَات الكوفة مدينة فنزلها ولم يستتمّها حتى كتب إليه مروان بن محمد يأمره بالاجتناب عن مجاورة أهل الكوفة، فتركها وبَنَى قصره المعروف به بالقرب من جسر سُورَا، فلما ملك السفّاح نزله واستّتم تسقيف مقاصير فيه وزاد في بنائه وسماه الهاشمية، وكان الناس لا يقولون إلا قصر ابن هبيرة على العادة الأولى، فقال: ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنه، فرفضه وبنى حياله مدينة ونزلها أيضاً المنصور واستّتمّ

كلواذا

قال في العزيزي: ومدينة كلواذا بينها وبين بغداد فرسخان ومن كلواذا إلى النهروان أربعة فراسخ[٢٤٣].

الكوفة

قال في العزيزي: والكوفة في القدر كنصف بغداد وقبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه منها عليه مشهد جليل يقصده الناس من أقطار الأرض[٢٤٤].

لَعلَعٌ

قال العُزيزي: من البصرة إلى عين جمل ثلاثون ميلاً ، وإلى عين صَيدٍ ثلاثون ميلاً وإلى الأخاديد ثلاثون ميلاً ، وإلى أقر ثلاثون ميلاً وإلى سَلمان عشرون ميلاً ، وإلى لعلع عشرون ميلاً[٢٤٥].

بناء كان قد بقي فيها وزاد فيها أشياء وجعلها على ما أراد ثم تحوّلَ منها إلى بغداد فبنى مدينة وسماها مدينة السلام".

٢٤٣- تقويم البلدان ، ص٣٠٣.وقال ياقوت في معجم البلدان : إنها تقع بين الكوفة وواسط.

٢٤٤- تقويم البلدان، ص ٣٠١.

٢٤٥- معجم البلدان ، مادة لعلع. وقال ياقوت: " بالفتح ثم السكون واللعلع في لغتهم السراب. ولعلع: جبل كانت به وقعة لهم. قال أبو نصر: لعلع. ماءٌ في البادية ، وقد وَردته ، وقيل: لعلع منزل بين البصرة والكوفة".

المدائن

قال في العزيزي: والمدائن تحت بغداد من الجنوب، وكانت المدينة الكبرى التي كان بها إيوان كسرى في شرقي دجلة، وارتفاع الإيوان ثمانون ذراعاً، وكان يقال لها رومية المدائن وطيسبون أيضاً واسبانبر أيضاً. وكان في جانب دجلة الغربي مدينة تعرف بساباط المدائن، وكان إلى جانبها مدينة تسمى نهرشير[٢٤٦].

نهر الملك

قال في العزيزي: ومدينة نهر الملك على شعبة من الفرات يُعْبَر إليها على جسر. وبينها وبين مدينة صرصر فرسخان، ومن مجينة نهر الملك إلى مدينة كوثى فرسخان، ومدينة كوثى لها سوق وجامع ومنبر. وبين كوثى وقصر ابن هبيرة ستة فراسخ[٢٤٧].

هيت

قال في العزيزي: وهيت حدود العراق، وهي على غربي الفرات فرضة من فُرَض الفرات، وبها عيون القار والنفط، وبينها وبين

٢٤٦- تقويم البلدان، ص ٣٠٣.

٢٤٧- تقويم البلدان، ص ٣٠٥.

القادسية ثمانية فراسخ، وبينها أيضاً وبين الأنبار واحد وعشرون فرسخاً[٢٤٨].

٢٤٨- تقويم البلدان، ص ٢٩٩. ويصوِّب أبو الفداء للمهلّبي موقع هيت بقوله: "قول العزيزي أن هيت غربي الفرات القول المقدم إنها شمالي الفرات فتحققته فعندي أن قول العزيزي غلط"..

ذِكْر خوزستان

أرجان

قال في العزيزي: وأرجان أول مدن فارس، وهي مدينة جليلة لها كور وأعمال نفيسة وهي كثيرة الزيتون[٢٤٩].

الأهواز

قال في العزيزي: ومنها إلى مدينة أصفهان ثمانون فرسخاً[٢٥٠].

بصنى

قال في العزيزي: ومنها إلى السوس سبعة فراسخ. قال في العزيزي: وبين متوث والسوس تسعة فراسخ[٢٥١].

٢٤٩- تقويم البلدان، ص٣١٩. وعدّها ابن حوقل أنها آخر حد فارس من جهة خوزستان، فيما اعتبرها صاحب اللباب من كور خوزستان.

٢٥٠- تقويم البلدان، ص٣١٧. وقال أبو الفداء: إن الأهواز كورة من كور خوزستان، فيما قال ياقوت في المشترك إنها الأهواز وخوزستان شيء واحد.

٢٥١- تقويم البلدان، ص٣١٣. وفي معجم البلدان" بَصِنّا: بالفتح ثم الكسر، وتشديد النون: مدينة من نواحي الأهواز صغيرة. وجميع رجالهم ونسائهم يغزلون الصوفَ وينسجون الأنماط والسُّتور البصنّيّة ويكتبون عليها بصنّى، وقد تُعمل بيرذَوْن وكَلْيوَان وغيرهما من المدن المجاورة لبصنّا وتدلس بسُتور بصنى، والمَعْدِنُ بصنى، ولهم نهر يسمونه دجلَةَ بصنى، فيه سبعة أرحية في السفن، والنهر منها على رَمية سَهْم".

تستر

قال في العزيزي: وتستر وسطة من البلاد ومنها إلى جنديسابور ثمانية فراسخ، وليس ببلاد الأهواز خطط إلا بتستر، فإن بها خططاً للقبائل. وقيل إن تستر مدينة ليس على وجه الأرض أقدم منها[٢٥٢].

جنديسابور

قال في العزيزي: ومنها إلى تستر ثمانية فراسخ، ومن جنديسابور إلى مدينة السوس ستة فراسخ[٢٥٣].

حصن المهدي

قال في العزيزي: ومن حصن المهدي إلى الأبلة أحد عشر فرسخاً، ومن الأبلة إلى البصرة أربعة فراسخ.

وقال: من حصن المهدي إلى سوق الأربعاء ستة عشر فرسخاً[٢٥٤].

٢٥٢- تقويم البلدان، ص٣١٥.

٢٥٣- تقويم البلدان، ص٣١٥. قال ابن حوقل: إنها واسعة الخير وبها نخيل وزروع كثيرة. وقال أبو الفداء: إن فيها قبر الملك يعقوب الصفار.

٢٥٤- تقويم البلدان، ص٣١٧.

الدورق

قال في العزيزي: ومن مدينة الدورق إلى مدينة باسيان عشرة فراسخ، قال: ومن مدينة الدورق إلى أرجان عشرة فراسخ[٢٥٥].

رامهرمز

قال في العزيزي: وبينها وبين سوق الأهواز تسعة عشر فرسخاً، ومن رامهرمز إلى رستاق الزط سبعة فراسخ[٢٥٦].

رستاق الزط

قال في العزيزي: ومن رستاق الزط إلى مدينة أرجان اثنا عشر فرسخاً[٢٥٧].

عسكر مكرم

من العزيزي: وعسكر مكرم مدينة محدثة وكانت قرية فنزلها مكرم بن الفزر أحد بني جعونة بعسكر كان قد أنفذه به الحجاج بن يوسف الثقفي لمحاربة خرداذ بن بارس، فنزل مكرم القرية المذكورة وأقام بها مدّة وأبنى بها البنايات، ثم تزايد البناء بها وسمّيت بعسكر مكرم. وبعسكر مكرم العقارب الصغار المشهورة القاتلة.

٢٥٥- تقويم البلدان، ص٣١٧. وقال ابن حوقل: وهي مدينة كبيرة.

٢٥٦- تقويم البلدان، ص٣١٩.

٢٥٧- تقويم البلدان، ص٣١٢. وقال ابن حوقل: أن رستاق الزط كورة عامرة شديدة الحرارة.

قال في العزيزي: ومن عسكر مكرم إلى تستر ثمانية فراسخ وليس بالأهواز مدينة محدثة إلا عسكر مكرم. ومن عسكر مكرم إلى سوق الأربعاء ستة فراسخ[٢٥٨].

قرقوب

قال في العزيزي: ومن قرقوب إلى مدينة الطيب سبعة فراسخ، ومن قرقوب إلى مدينة السوس عشرة فراسخ[٢٥٩].

مهرويان

قال في العزيزي: ومدينة مهرويان على البحر[٢٦٠].

٢٥٨- تقويم البلدان، ص٣١٧.

٢٥٩- تقويم البلدان، ص٣١٥. يقول أبو الفداء: إن قرقوب مدينة مشهورة تقع بين واسط وكور الأهواز.

٢٦٠- تقويم البلدان، ص٣١٧. وقال أبو الفداء: إنها مدينة صغيرة وهي فرضة (ساحل) أرجان وما والاها.

ذِكْر فارس

قال المهلّبي في العزيزي: ونهاية فارس الشرقية هي ناحية يزد. وعلى نهاية الحدّ الجنوبي سيراف والبحر. وحدُّها الشمالي الريّ.

قال ومن مدن فارس كركان على شعب بوّان، وهي على خمسة فراسخ عن النوبندجان. ومن مدن فارس السرمق وهي مدينة كثيرة الخصب والأشجار. ومن منتزهات فارس شعب بوّان، وهي أحد منتزهات الدنيا الأربعة. وهي غوطة دمشق ونهر الأبلّة وصغد سمرقند وشعب بوّان وهو- أعني شعب بوان- عن النوبندجان على نحو فرسخين. وشعب بوّان عدة قرى ومياهه متصلة وعليها الأشجار حتى غطت تلك القرى فلا يراها إنسان حتى يدخلها.

وقال المهلّبي في العزيزي: وبلاد فارس تنقسم إلى جنوبية وشمالية. فالبلاد الجنوبية سهول والشمالية بلاد جبال. ومن مدن السهول، أرجان والنوبندجان ومهروبان وسينيز وكازرون واصطخر والبيضاء ودارابجرد.

قال المهلّبي في العزيزي: من شيراز إلى سيراف ثلاثة وستون فرسخاً جنوباً، ومن شيراز إلى أصفهان اثنان وسبعون فرسخاً شمالاً[٢٦١].

اصطخر

قال في العزيزي: وبين شيراز واصطخر اثنا عشر فرسخاً[٢٦٢].

البيضاء

قال في العزيزي: والبيضاء من كورة اصطخر، مدينة جليلة بينها وبين شيراز ثمانية فراسخ[٢٦٣].

جنّابة

قال في العزيزي: وبينها وبين شيراز أربعة وخمسون فرسخاً[٢٦٤].

جور

قال في العزيزي: ومدينة جور بها رستاق، ومن جور إلى شيراز أربعة وعشرون فرسخاً، وقال في موضع آخر عشرون فرسخاً، ومن جور إلى كازرون ستة عشر فرسخاً[٢٦٥].

٢٦١- تقويم البلدان، ص٣٢١. ينقل أبو الفداء عن صاحب "اللباب" أن الصحابي سلمان الفارسي من رام هرمز.

٢٦٢- تقويم البلدان، ص٣٢٩.

٢٦٣- تقويم البلدان، ص٣٢٩.

٢٦٤- تقويم البلدان، ص ٣٢٥، وقال في معجم البلدان، إنها بلدة صغيرة من سواحل فارس.

٢٦٥- تقويم البلدان، ص ٣٢٥. وإليها ينسب الورد الجوري.

حصن ابن عمارة

قال في العزيزي: ومن حصون بلاد شيراز قلعة ابن عمارة[٢٦٦].

دارابجرد

قال في العزيزي: وبأعمال دارابجرد معدن الموميا وبها معدن زئبق[٢٦٧].

شيراز

قال في العزيزي: مدينة شيراز جليلة واسعة بها منازل واسعة سَرية كثيرة المياه، وشربهم من عيون تتخرق البلد وتجري في دورهم، وليس يكاد يخلو دار في شيراز من بستان حسن ومياه تجري، وأسواقها عامرة جليلة. ومنها إلى أصبهان اثنان وسبعون فرسخاً[٢٦٨].

كازرون

قال في العزيزي: ومدينة كازرون لطيفة وصالحة العمارة[٢٦٩].

٢٦٦- تقويم البلدان، ص٣٣١.

٢٦٧- تقويم البلدان، ص٣٣١.

٢٦٨- تقويم البلدان، ص ٣٢٩.

٢٦٩- تقويم البلدان، ص ٣٢٥.

ذِكْر كرمان

بَم

قال في العزيزي: وهي من كبار مدن كرمان وهي مصر من الأمصار[٢٧٠].

جيرفت

وقال المهلّبي: وجيرفت أعظم مدن كرمان، وهي كثيرة النخل والأُتْرُج ومقصد للتجار[٢٧١].

زرند

قال في العزيزي: بين مدينة زرند ومدينة السيرجان تسعة وعشرون فرسخاً[٢٧٢].

٢٧٠- تقويم البلدان، ص٣٣٧.

٢٧١- تقويم البلدان، ص٣٣٧.

٢٧٢- تقويم البلدان، ص٣٣٧.

ذِكْر سجّستان

بست

قال في العزيزي: ومدينة بست مدينة جليلة بها عدة منابر ورباطات كثيرة عظيمة[٢٧٣].

سجّستان

وقال المهلّبي: وسجّستان شرقي كرمان بانحراف إلى الشمال[٢٧٤].

٢٧٣- تقويم البلدان، ص٣٤٥.

٢٧٤- تقويم البلدان، ص٣٤٠.

ذِكْر السِّنْد

أزور

قال في العزيزي: إنها مدينة كبيرة، أهلها مسلمون في طاعة صاحب المنصورة، وبينهما ثلاثون فرسخاً[٢٧٥].

بيرون

قال المهلّبي: وبيرون مدينة أهلها مسلمون، ومنها إلى المنصورة خمسة عشر فرسخاً[٢٧٦].

المَنْصُورَةُ

قال الحسن بن أحمد المهلّبي: سمّيت المنصورة، لأن عمرو بن حفص الهزارمرد المهلّبي بناها في أيام المنصور من بني العباس فسمّيت به. وللمنصورة خليج من نهر مهران يحيط بالبلد فهي منه في شبه الجزيرة، وفي أهلها مُرُوة وصلاح ودين وتجارات، وشربهم من نهر يقال له مهران، وهي شديدة الحر كثيرة البق، بينها وبين الديبلُ ست مراحل، وبينها وبين الملتان اثنتا عشرة مرحلة، وإلى طوران خمس عشرة مرحلة.

٢٧٥- تقويم البلدان، ص٣٤٧.

٢٧٦- تقويم البلدان، ص٣٤٩.

ومـن المنصـورة إلى أول حـد البدهـة خمـس مراحـل، وأهلـها مسلمون ومَلِكهم قُرَشـي يقـال إنـه مـن ولـد هَبّار بـن الأسـود. تغلّب عليها هو وأجداده يتوارثون بها الملك. إلا أن الخطبة فيها للخليفة من بني العباس، وليس لهم مـن الفواكـه لا عنـب ولا تفـاح ولا كمثـرى ولا جـوز، ولهـم قصـب السـكر وثمـرة علـى قمـر التفـاح يسمونها البهلوبة شديدة الحموضة، ولهم فاكهة تشـبه الخـوْخ تسـمى الأنـبج يقـارب طعمـه طعـم الخـوخ، وأسـعارهم رخيصـة وكـان لهـم دراهـم يسـمونها القـاهريـات ودراهـم يقـال لهـا الطـاطري فَـي الـدرهـم درهـم وثُلـث[٢٧٧].

الملتان

قال المهلّبي في العزيزي: أعمال الملتان واسعة مـن الغـرب إلى حـد مكـران، والجنـوب إلى حـد المنصـورة، ومـن الملتـان إلى غزنـة مئـة وستون فرسـخاً[٢٧٨].

٢٧٧- معجم البلدان، مادة المنصورة. وفي تقويم البلدان: "وقال المهلّبي في العزيزي: والمنصورة مدينة كبيرة يحيط بها الخليج من نهر مهران، ويأتي مهران من بلد الملتان قال والمنصورة كثيرة النخيل وقصب السكر، وسمّيت المنصورة لأن عمر بن حفص المعروف بهزارمرد المهلّبي بناها في أيام أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس وسماها بلقبه".

٢٧٨- تقويم البلدان، ص٣٥١. وفي معجم البلدان: "مُلْتَانُ: بالضم، وسكون اللام، وتاء مثناة من فوقها، وآخره نون، وأكثر ما يكتب مولتان، بالواو: هي مدينة من نواحي الهند قرب غزنة أهلها مسلمون منذ قديم".

ذِكْر الهند

التبت

قال المهلّبي في العزيزي: وبلاد التبت تقع شمالي مملكة قنّوج وبينهما مسافة بعيدة[٢٧٩].

سندان

قال في العزيزي: ومدينة سندان بينها وبين المنصورة خمسة عشر فرسخاً، ومدينة سندان مجمع الطرق. قال وسندان بلاد القسط والقنا والخيزران وهي من أجلّ فرضه على البحر[٢٨٠].

٢٧٩- تقويم البلدان، ص٣٥٥. وفي معجم البلدان: "تُبتٌ مملكة متاخمة لمملكة الصين ومتاخمة من إحدى جهاتها لأرض الهند ومن جهة المشرق لبلاد الهياطلة ومن جهة المغرب لبلاد الترك، ولهم مدُن وعمائر كثيرة ذوات سعة وقوّة، ولأهلها حضرٌ وبدو".

٢٨٠- تقويم البلدان، ص٣٥٩. و حول هذه المدينة يكتب ياقوت"سَنْدَانُ: بفتح أوّله، وآخره نون؛ قال نصر: هي قصبة بلاد الهند، ولا أدري أي شيء أراد بهذا فإن القصبة في العرف هي أجلّ مدينة في الكورة أو الناحية، ولا تُعرف بالهند مدينة يقال لها سندان تكون كالقصبة إنّما سندان مدينة في ملاصقة السند، بينها وبين الدَّيبُل والمنصورة نحو عشر مراحل".

قامرون

وقال المهلّبي: ومدن قامرون منها دوكرا وأكشميبون، وهي مدينة ملك قامرون.

قال وأكشميبون على نهر بقَدْر نيل مصر، ومراس كورة في آخر بلاد قامرون وأول الصين[٢٨١].

قنّوج

قال المهلّبي في العزيزي: قنّوج مدينة في أقاصي الهند، وهي في جهة الشرق عن الملتان وبينهما مائتان واثنان وثمانون فرسخاً، وقنّوج مصر الهند وأعظم المدن، وقد بالغ الناس في تعظيمها حتى قالوا إن بها ثلاثمائة سوق للجوهر ولملكها ألفان وخمس مئة فيل قال: وهي كثيرة معادن الذهب[٢٨٢].

٢٨١- تقويم البلدان، ص٣٦١.

٢٨٢- تقويم البلدان، ص٣٦١.

ذِكْر جزائر بحر الشرق

جزيرة خَارَك

قال في العزيزي: وطولها فرسخ، وهي عن البصرة خمسة وثلاثون فرسخاً، وبينها وبين كيش[٢٨٣] خمسة وعشرون فرسخاً[٢٨٤].

جزيرة سريرة

قال المهلّبي: وجزيرة سريرة في أعمال الصين. قال وهي عامرة آهلة، وإذا أقلع المركب منها طالباً للصين واجهه في البحر جبال ممتدة داخلة في البحر مسيرة عشرة أيام، فإذا قرب المسافرون منها وجدوا فيها أبواباً وفرجاً في أثناء ذلك الجبل يفضي كل باب منها إلى بلد من بلدان الصين[٢٨٥].

٢٨٣- قال ياقوت: "كِيش: هو تعجيم قِيس: جزيرة في وسط البحر تُعَدّ من أعمال فارس لأن أهلها فرس، وتُعَدّ في أعمال عُمان".

٢٨٤- تقويم البلدان، ص٣٧٣. وقال ياقوت "خارَكُ: بعد الألف راءٌ، وآخره كاف: جزيرة في وسط البحر الفارسي، وهي جبل عالٍ في وسط البحر، إذا خرجت المراكب من عبّادان تريد عُمان وطابت بها الريح وصلت إليها في يوم وليلة، وهي من أعمال فارس، يقابلها في البرّ جنّابة ومَهْرُويان".

٢٨٥- تقويم البلدان، ص٣٧٥. وينقل أبو الفداء عن كتاب الأطوال للفرس أن جزيرة السريرة هي جزيرة المهراج . أما ابن سعيد فيقول إن جزائر المهراج جزائر كثيرة وصاحبها من أغنى ملوك الهند وأكثرهم ذهباً وفيلةً. وجزيرته الكبيرة هي التي فيها مقر ملكه. وفي أيامنا تتوزع جزائر المهراج بين أندونيسيا وماليزيا والفلبين.

جزيرة سقطرة

قال المهلّبي في العزيزي: وجزيرة سقطرة طولها ثمانون فرسخاً وأهلها نصارى نسطورية[٢٨٦].

جزيرة كَلَه

قال المهلّبي في العزيزي: وجزيرة كله في بحر الهند وفيها مدينة عامرة يسكنها مسلمون وهند وفرس، وبها معادن للرصاص ومنابت الخيزران وشجر الكافور، وبينها وبين جزائر المهراج عشرون مجرى[٢٨٧].

الدُردُورُ

قال المهلّبي: والدردور جبلان يقال لهما كُسير وعوير وهما وسط البحر الشرقي. قال ويظهران على الماء شيئاً يسيراً ويخاف على المراكب في ذلك الموضع. قال وهو من عمان في البحر خمسون فرسخاً[٢٨٨].

٢٨٦- تقويم البلدان، ص٣٧١. ويروي ياقوت في معجم البلدان معلومات مفصلة عن هذه الجزيرة وعن دين أهلها دون أن يحدد أنهم نساطرة.

٢٨٧- تقويم البلدان، ص٣٧٥. ويحدد ياقوت تبعيتها للهند موقعها في منتصف الطريق بين عُمان والصين وموقعها من المعمورة في طرف خط الاستواء، أما المقياس البحري ٢٠ مجرى فلم أعثر له على مقابل.

٢٨٨- تقويم البلدان، ص ٣٦٩. ويذكر ياقوت أن دُرْدُورُ: موضع في سواحل بحر عُمان مَضيق بين جبلين يسلكه الصغار من السُفُن.

ذِكْر أرمينية وأرّان وأذربيجان

أردبيل

قال المهلّبي: وأردبيل أعظم مدن أذربيجان، وهي في الجهة الشمالية من أذربيجان، قال: وعرض أردبيل م~ وفي غربيها جبل عليه الثلج دائماً، وأهلها غليظو الطبع، شرٌّ، سُواءُ الأخلاق. وبين أردبيل وبين تبريز خمسة وعشرون فرسخاً[289].

أرمية

قال المهلّبي: أرمية مدينة جليلة، ويقال: إن زرادشت نبي المجوس منها. قال: وهي آخر حد أذربيجان من جهة الغرب. وأرمية غربي سلماس على ستة عشر فرسخاً. قال: والموصل في سمت الغرب عن أرمية، وبين أرمية وبين الموصل أربعون فرسخاً[290].

٢٨٩- تقويم البلدان، ص٣٩٩ويضيف أبو الفداء التصحيح التالي: "أقول والأصح أن عرض أردبيل ما ذكره المهلّبي إذا قلنا أن عرض تبريز لط~ س~".

٢٩٠- تقويم البلدان، ص٣٩٧.

باب الأبواب

قال في العزيزي: و باب الأبواب [يعني هذه البلدة التي بهذا المكان الذي يعرف بباب الحديد] مدينة قديمة بها آثار، وهي الحد بين مملكة الفرس وبين مملكة الخزر[٢٩١].

بدليس

قال في العزيزي: وبينها وبين خلاط سبعة فراسخ[٢٩٢].

برزند

قال في العزيزي: من مدينة برزند إلى مدينة ورثان خمسة عشر فرسخاً، ومن ورثان تفترق الطرق، فاليمنى منها إلى بلاد الباب، واليسرى إلى مدينة بردعة، ومن مدينة برزند إلى أردبيل عشرون فرسخاً[٢٩٣].

٢٩١- تقويم البلدان، ص ٣٩١. واسمها الآن مدينة الدربند وتقع في الداغستان.

٢٩٢- تقويم البلدان، ص٢٩٥. وفي معجم البلدان "بلدة من نواحي أرمينية قرب خِلاطَ ذات بساتين كثيرة، وتُفّاحها يُضرب به المثل في الجودة والكثرة والرخص، ويُحمل إلى بُلدان كثيرة".

٢٩٣- تقويم البلدان، ص٤٠٣. وهي من أذربيجان.

بركري

عن المهلّبي، أن بينها وبين أرجيش ثمانية فراسخ[294].

البيلقان

قال في العزيزي: وبين البيلقان وبين ورثان ستة فراسخ[295].

خِلاط

قال في العزيزي: وبينها وبين ملازجرد سبعة فراسخ[296].

خويّ

قال المهلّبي: وخويّ في الغرب والشمال من مرند، و بينهما اثنا عشر فرسخاً[297].

٢٩٤- تقويم البلدان، ص ٣٨٩. ويوضّح أبو الفداء أن بركري من أرمينية وقبل باكري، وأرجيش حسب ياقوت الحموي مدينة أرمينية أيضاً.

٢٩٥- تقويم البلدان، ص٤٠٥. وقال ابن حوقل: هي من مدن أرّان. وأرّن هي بلاد الداغستان حالياً.

٢٩٦- تقويم البلدان، ص٣٩٥.قال في معجم البلدان: إنها قصبة أرمينية الوسطى فتحها عياض بن غنم.

٢٩٧- تقويم البلدان، ص٣٩٧.

دبيل

قال في العزيزي: ومدينة دبيل من أجل البلاد وأنفسها، وهي قصبة أرمينية الداخل ومستقر السلطان، وعرضها ثمانية وثلاثون درجة[٢٩٨].

سلماس

عن المهلّبي: وسلماس في الغرب والشمال عن خويّ، وبينهما سبعة فراسخ. وقال المهلّبي أيضاً: وسلماس هذه مصر من الأمصار جليل والمتاجر بها وإليها متصلة، ومنها أرمية ستة عشر فرسخاً وهي آخر حدود أذربيجان من الغرب[٢٩٩].

مراغة

وقال المهلّبي: ومراغة غربي تبريز بينهما سبعة عشر فرسخاً، ومراغة محدثة كانت قرية فنزل بها مروان بن محمد، وكان هناك سرجين فمرّ الناس فيه دوابهم ثم بناها مدينة فسميت مراغة، وهي نزهة جداً[٣٠٠].

٢٩٨- تقويم البلدان، ص٣٩٧.

٢٩٩- تقويم البلدان، ص٣٩٧.

٣٠٠- تقويم البلدان، ص٣٩٩.

مرند

قال المهلّبي: وهي عن توريز [تبريز] أربعة عشر فرسخاً، ومن مرند إلى خان كركر خمسة فراسخ، ومنه إلى مدينة نشوى اثنا عشر فرسخاً وبينهما يعبر نهر الرس[٣٠١].

موقان

قال في العزيزي: ومدينة موقان من عمل أردبيل. قال في العزيزي: وموقان في نهاية بلاد كيلان من جهة الغرب، وبين موقان وبين مصب الكرّ إذا أخذت على الساحل البحر مغرباً بانحراف إلى الشمال ستة عشر فرسخاً، وبين مصب نهر الكرّ وبين الباب على ساحل بحر الخزر واحد وعشرون فرسخاً[٣٠٢].

وسطان

قال المهلّبي: ووسطان من بلاد أرمينية، وبينها وبين سلماس ثلاثة عشر فرسخاً، وبين وسطان وبين وان ستة فراسخ[٣٠٣].

٣٠١- تقويم البلدان، ص٤٠١.

٣٠٢- تقويم البلدان، ص٤٠١.

٣٠٣- تقويم البلدان، ص ٣٩٧.

بلاد الجبل (عراق العجم)

أسد أباذ

قال في العزيزي: وبين أسد أباذ وقصر اللصوص سبعة فراسخ، ومن أسد أباذ إلى همذان تسعة فراسخ، وبينها أيضاً وبين الدينور سبعة عشر فرسخاً[٣٠٤].

آوة

قال المهلبي: وآوة مدينة في الشرق بانحراف إلى الشمال عن همذان، وبينهما سبعة وعشرون فرسخاً. قال: وقزوين عن آوة كذلك أعني قزوين في الشرق بانحراف إلى الشمال عن آوة، وبين قزوين وعن آوة ستة عشر فرسخاً[٣٠٥].

٣٠٤- تقويم البلدان، ص٤١٧. وقال في معجم البلدان: " أَسَدَاباذ: بفتح أوله وثانيه، وبعد الألف باء موحدة، وآخره ذال معجمة: بلدة عمّرها أَسَد بن ذي السَّرْو الحِمْيري في اجتيازه مع تُبّع، والعجم يسكنون السين عُجْمةً، وهي مدينة بينها وبين همذان مرحلة واحدة نحو العراق، وبينهما وبين مطابخ كسرى ثلاثة فراسخ، وإلى قصر اللصوص أربعة فراسخ؛ وقد نُسِبَ إليها جماعة كثيرة من أهل العلم والحديث، منهم: أبو عبد الله الزبير بن عبد الواحد بن محمد بن زكريّا ابن صالح بن إبراهيم الأسداباذي الحافظ؛ سمع أبا يعلى الموصلي وغيره؛ وتوفي سنة ٣٤٧هـ و أسداباذ أيضاً: قرية من أعمال بَيْهق ثم من نواحي نيسابور، أنشأها أسد بن عبد الله القَسْري في سنة ١٢٠هـ حيث كان على خراسان من قبل أخيه خالد في أيام هشام بن عبد الملك".

٣٠٥- تقويم البلدان، ص٤١٩.

الدينور

قال في العزيزي: وبينها وبين الموصل أربعون فرسخاً، ومنها إلى أول نهر الزاب عشرة فراسخ، ومنها إلى مدينة مراغة أربعون فرسخاً[٢٠٦].

ساوة

قال المهلّبي في العزيزي: وساوة مدينة جليلة على جادّة حجّاج خراسان وبها الأسواق الحسنة وهي صالحة وبها المنازل الحسنة، وبين ساوة وقم اثنا عشر فرسخاً[٢٠٧].

شهرزور

وقال المهلّبي في العزيزي: وشهرزور تتصل ببلاد المراغة وبينهما ست مرحلات[٢٠٨]، وبلد شهرزور حزن خشن. قال: وهي خصبة كثيرة المتاجر في عزلة، وفي أهلها غلظ وجفا. وقال في العزيزي أيضاً: وبينها وبين حلوان اثنان وعشرون فرسخاً[٢٠٩].

٢٠٦- تقويم البلدان، ص٤١٥.

٢٠٧- تقويم البلدان، ص٤١٩.

٢٠٨- ترد ست رحلات والصحيح مرحلات جمع مرحلة كما ترد في مواضع أخرى من تقويم البلدان.

٢٠٩- تقويم البلدان، ص ٤١٣.

قاشان

قال في العزيزي: وقاشان مدينة لطيفة وسطة من مدن الجبل، وهي خصبة وخراجها مضاف إلى خراج قم[٢١٠].

قرماسين

قال في العزيزي: ومدينة قرماسين أجلّ مدن الجبل وأعظمها خطراً، وهي عامرة غاصّة بالناس وينبت بها الزعفران[٢١١].

قُمّ

وقال المهلّبي: وَقُمّ في مرج تقدير سعته عشرة فراسخ في مثلها، ثم تفضي إلى جبالها، وهي من بلاد الجبل وبها من الفستق ما ليس بغيرها[٢١٢].

٢١٠- تقويم البلدان، ص٤٢١. وقال ياقوت في معجم البلدان: "قاشَانُ: بالشين المعجمة، وآخره نون: مدينة قرب أصبهان تذكر مع قُمّ، ومنها تجلب الغضائرُ القاشاني، والعامّة تقول القاشيّ، وأهلها كلهم شيعة إماميّة".

٢١١- تقويم البلدان، ص ٤١٣. ويقول إنها كرمنشاه.

٢١٢- تقويم البلدان، ص ٤٢١.

نهاوند

قال في العزيزي: وبينها وبين همذان أربعة عشر فرسخاً[٢١٣].

٢١٣- تقويم البلدان، ص٤٧٦.

بلاد الديلم وكيلان

بلاد الجيل والديلم

من العزيزي: بلاد الجيل في ساحل بحر الخزر الجنوبي، والبحر في شماليها ويمتد من جهة الشرق من حدود طبرستان مغرباً إلى موغان، والديلم بلد حزن حدّ له إلى طبرستان شمالي بلادهم على بحر الخزر[٣١٤].

سالوس

وقال المهلّبي: وسالوس آخر حدّ طبرستان من جهة الغرب، وإذا سرت من سالوس مشرّقاً إلى آخر حد طبرستان كان أربعين ميلاً، وهو جميع طول طبرستان من الغرب إلى الشرق، ومن سالوس وشمالاً ومغرّباً أول بلاد كيلان في الغرب والشمال عن طبرستان[٣١٥].

كلار

قال المهلّبي: وكلر مدينة الديلم وهي من جهة الشرق والجنوب عن الأهجان[٣١٦].

٣١٤- تقويم البلدان، ص ٤٢٧. وبلاد الجيل كما تسميها العرب هي بلاد كيلان.

٣١٥- تقويم البلدان، ص ٤٣١.

٣١٦- تقويم البلدان، ص ٤٣١.

كوثم

قال في العزيزي: كوثم مدينة كبيرة للجيل[217].

طبرستان

قال المهلّبي: وطبرستان في نهاية المنعة والحصانة بالجبال المنيعة المحيطة بها من كل جانب، وفي وسط الجبال الأراضي السهلية، وفيها من كثرة المياه والغياض ما لايشابهها فيه بلد آخر، وهي بلاد كثيرة الحرير وخبزهم الأرز. قال: وطبرستان عن قزوين في الشرق بانحراف إلى الشمال[218].

أستراباذ

قال المهلّبي: وأستراباذ على حدّ طبرستان، قال: ومنها إلى آمل قصبة طبرستان تسعة وثلاثون فرسخاً[219].

آمل

قال المهلّبي: من آمل إلى سالوس وهي على ضفة البحر تسعة فراسخ[220].

٢١٧- تقويم البلدان، ص ٤٢٩.

٢١٨- تقويم البلدان، ص ٤٣٢-٤٣٣.

٢١٩- تقويم البلدان، ص ٤٣٩.

٢٢٠- تقويم البلدان، ص ٤٣٥. وقال ياقوت في المشترك: وآمل أكبر مدينة لطبرستان ومنها أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.

جرجان

قال المهلّبي: وجرجان غربي نسا من خراسان، وبينهما ثمانية وتسعون فرسخاً. قال: وجرجان مدينة جليلة بين خوارزم وبين طبرستان، فخوارزم منها في جهة الشرق، وطبرستان منها في جهة الغرب. قال: وجرجان بلد كثير الأمطار متصل الشتاء، وفي وسطها نهر يجري، وهي قريبة من بحر الخزر والجبال محتفة بها، فهي سهلية جبلية يجتمع فيها فواكه الغور والنجد، وبها من خشب الخلنج ما ليس في بلد آخر مثله، وفرضتها آبسكون، ومن جرجان مغرّباً إلى استراباذ، وهي أول حدّ طبرستان، خمسة وعشرون فرسخاً[٣٢١].

الدامغان

قال في العزيزي: والدامغان قصبة قومس، وهي أمّ البلاد مدينة عظيمة، وبلاد قومس من أعمال خراسان[٣٢٢].

رويان

قال في العزيزي: ومدينة الرويان اسمها شارستان على عقبة عظيمة، وبينها وبين قزوين ستة عشر فرسخاً، ومن الرويان إلى وبار حد بلاد الجيل ستة فراسخ[٣٢٣].

٣٢١- تقويم البلدان، ص ٤٣٩.

٣٢٢- تقويم البلدان، ص ٤٣٧.

مامطير

قال في العزيزي: وبين مدينة مامطير، وهي من طبرستان وأعظمها ستة فراسخ، ومن آمل إلى مدينة يقال لها الهمّ على ساحل بحر الخزر أربعة فراسخ، ومن الهم إلى سالوس على ساحل البحر خمسة فراسخ، وهذا آخر حدّ طبرستان من جهة الغرب، وآخر حدّها من الشرق مدينة طميشة، وطول ذلك أربعون فرسخاً[٣٢٤].

٣٢٣- تقويم البلدان، ص ٤٣٥.

٣٢٤- تقويم البلدان، ص ٤٣٧.

بلاد خراسان

الداندانقان

قال في العزيزي: ومدينة داندانقان من أعمال مرو الشاهجان ومتصلة بها، وهذه الناحية من أكثر البلاد حريراً، وبقطنها يضرب المثل في الجودة ويجهز منها إلى البلاد[٢٢٥].

سرخس

قال المهلّبي: سرخس مدينة عظيمة والرمال تحتفّ بها، وشرب أهلها من الآبار، وسرخس في الجنوب عن نسا وبينهما سبع وعشرون فرسخاً[٢٢٦].

شبورقان

قال العزيزي: وهي مدينة الجوزجان، وبينها وبين بلخ تسعة عشر فرسخاً[٢٢٧].

٢٢٥- تقويم البلدان، ص ٤٥٩.

٢٢٦- تقويم البلدان، ص ٤٥٥.

٢٢٧- تقويم البلدان، ص ٤٤٧.

الشرمجان

قـال في العزيـزي: مـن الشـرمجان إلى الترمـذ سـتة فراسـخ، والشرمجان عن الترمذ في سمت الجنوب منحرفاً إلى الشرق. قال: وبينها وبين الصغانيان اثنان وعشرون فرسخاً[٢٢٨].

الطابران

قال في العزيزي: وطوس ناحية جليلة، ومدينتاها طابران ونوقان وبينهما ستة فراسخ، وهما من أجلّ مدن خراسان[٢٢٩].

فارياب

قـال في العزيـزي: وفاريـاب مدينـة الجوزجـان، وبينهـا وبـين بلـخ اثنان وعشرون فرسخاً[٢٣٠].

كشميهن

قال المهلّبي: وهي قرية من أعمال مرو الشاهجان على خمسة فراسخ منها، على طرف المفازة[٢٣١] وبها الزبيب الموصوف الذي يحمل إلى الآفاق[٢٣٢].

٢٢٨- تقويم البلدان، ص ٤٥٩. ويصحّح أبو الفداء للمهلّبي لقول العزيزي إن شرمقان في الجنوب منحرفاً إلى الشرق عن ترمذ ليس صحيحاً في التشريق خاصة فإن طول ترمذ (صا~ يه~ وقيل ص~ يه~ والعرض لز~ ل~ لو~ له~)!

٢٢٩- تقويم البلدان، ص٤٤٩.

٢٣٠- تقويم البلدان، ص٤٦١.

٢٣١- كل أرض قاحلة جرداء تسمى مفازة.

نَسَا

قال المهلّبي: ونسا في الشمال عن سرخس على سبعة وستين فرسخاً[٢٢٣].

نوقان

قال في العزيزي: وهي من أجل مدن خراسان وأعمرها، وبظاهر مدينة نوقان قبر الإمام علي بن موسى بن جعفر، وبه أيضاً قبر هرون الرشيد، وعلى قبر علي بن موسى حصن، وفيه قوم معتكفون، وبنوقان معدن البرّام ومعادن الفيروز والدَّهنَج[٢٢٤].

٢٢٢- تقويم البلدان، ص ٤٤٦.

٢٢٣- تقويم البلدان، ص ٤٥١.

٢٢٤- تقويم البلدان، ص ٤٥٣. و الدَّهْنَجُ: حَصىً أخضَرُ تُحلَّى به الفُصوص.

زابلستان

الباميان

قال المهلّبي: والباميان في جهة الشمال من غزنة وبينهما خمسة وأربعون فرسخاً[٢٢٥].

غزنة

وقال المهلّبي: وغزنة عن بست، أوّل حدّ سجستان، على نحو أربعين فرسخاً[٢٢٦].

٢٢٥- تقويم البلدان، ص ٤٦٧.

٢٢٦- تقويم البلدان، ص ٤٦٧.

طخارستان

الطايقان

قال في العزيزي: والطايقان مدينة كبيرة وهي في شُعْب بين جبال، وشرب أهلها من نهرٍ لهم، ولها أشجار على غاية الخصب، ومن الطايقان إلى الختل سبعة فراسخ[٢٢٧].

ولواش

قال في العزيزي: ومدينة ولواش مدينة كبيرة من مدن طخارستان، وبينها وبين الطايقان ستة فراسخ. قال: وجميع مدن طخارستان في مستوٍ من الأرض إلا سكندة وهلبك فإنهما في جبل[٢٢٨].

خوارزم

قال المهلّبي: وبلاد خوارزم في جهة الجنوب والشرق عن بحيرة خوارزم، ومن خوارزم إلى آمل نحو اثنتي عشر مرحلة، ومن خوارزم إلى بحيرة خوارزم نحو ستة مراحل[٢٢٩].

٢٢٧- تقويم البلدان، ص ٤٧٣.

٢٢٨- تقويم البلدان، ص٤٧٣.

٢٢٩- تقويم البلدان، ص٤٧٧.

درعان

قال في العزيزي: وبينها وبين هزارسب أربعة وعشرون فرسخاً. قال: و مدينة درعان من أول أعمال خوارزم[340].

كاث

قال في العزيزي: وبينها وبين القرية الحديثة من بلاد الترك [ينغي كنت] خمسون فرسخاً. قال: ومن أجلّ مدينة ببلاد خوارزم مدينة كاث، ومدينة كركانة، ومدينة هزارسب[341].

هزارسب

قال في العزيزي: وهي غربي جيحون، ومن مدينة هزارسب إلى مدينة كاث ستة فراسخ[342].

٣٤٠- تقويم البلدان، ص ٤٨١.

٣٤١- تقويم البلدان، ص ٤٧٩.

٣٤٢- تقويم البلدان، ص ٤٧٩.

بلاد ما وراء النهر

أسروشنة

قال في العزيزي: واسم مدن أسروشنة زامين وساباط وذرك[243].

أسفيجاب

قال في العزيزي: وأسفيجاب صقع جليل من أصقاع ما وراء النهر[244].

اشتيخن

قال في العزيزي: بين أشتيخن وبين كشانية خمسة فراسخ، و اشتيخن عن سمرقند على مسيرة ثمانية فراسخ[245].

دبوسية

قال في العزيزي: والدبوسية مدينة آهلة تقارب في القدر الطواويس، ومن الدبوسية إلى كشانية خمسة فراسخ[246].

٢٤٣- تقويم البلدان، ص ٤٩٧.

٢٤٤- تقويم البلدان، ص ٤٩٥.

٢٤٥- تقويم البلدان، ص ٤٩١.

٢٤٦- تقويم البلدان، ص ٤٩١.

الطواويس

قال في العزيزي: ومن الدبوسية إلى الطواويس اثنا عشر فرسخاً، وبين الطواويس وبين بخارا سبعة فراسخ[٣٤٧].

فاراب

وقال في العزيزي: والفارياب اسم للناحية، وهي يوم وفي أهلها منعة وبسالة، ومنها في بلاد الغزيّة إلى القرية الحديثة [ينبغي كنت] سمت المغرب والشمال مئة فرسخ لا يسلك إلا وهدنة من الغزيّة[٣٤٨].

كرمينية

قال في العزيزي: ومدينة كرمينية بين الطواويس والدبوسية، وهي عن الدبوسية على مسافة خمسة فراسخ، وعن الطواويس على مسافة سبعة فراسخ. قال: وهي مدينة آهلة تقارب في القدر الطواويس[٣٤٩].

٣٤٧- تقويم البلدان، ص ٤٨٩.

٣٤٨- تقويم البلدان، ص٤٩٣ والمعلومات حاشية رقم ٥ من الصفحة ٥٠٦.

٣٤٩- تقويم البلدان، ص ٤٩١.

نخشب

قال المهلّبي: نخشب كثيرة الماء والثمار وهي وبية، وهي من أطراف بلاد ما وراء النهر، وأقمت بنخشب قريب من شهرين وخرج منها في كل فن جماعة لا يحصون[٣٥٠].

كشّ

قال في العزيزي: ولمدينة كش رستاق جليل من رساتيق سمرقند[٣٥١].

شلج

قال في العزيزي: وهي مدينة من مدن الأتراك أهلها مسلمون، بينها وبين طراز أربعة فراسخ[٣٥٢].

واشجرد

قال في العزيزي: من مدينة واشجرد إلى قلعة الراسب ستة فراسخ[٣٥٣].

٣٥٠- تقويم البلدان، ص ٤٩١.

٣٥١- تقويم البلدان، ص ٤٩١.

٣٥٢- تقويم البلدان، ص ٤٩٧.

٣٥٣ -تقويم البلدان، ص ٥٠٣.

كاشغر

قال في العزيزي: ومدينة كاشغر مدينة عظيمة آهلة عليها سور وأهلها مسلمون[٣٥٤].

ختن

قال في العزيزي: وهي مدينة عامرة خصبة لها أنهار كثيرة[٣٥٥].

٣٥٤- تقويم البلدان، ص ٥٠٥.

٣٥٥- تقويم البلدان، ص ٥٠٥.

مواضع مجهولة

جَولى: بوزن سكرى، موضع عن أبي الحسن المهلّبي[٢٥٦].

حدَيلاءُ

موضع عن أبي الحسن المهلّبي. ورواه **بعضهم بالذال معجمةً**[٢٥٧].

ضَدَنَى

قال أبو الحسين المهلّبي: ضدنى بوزن سَكَرَى موضع[٢٥٨].

قرحياء

قال الحسن المهلّبي: موضع قال: وكل أرض ملساء قرحياء[٢٥٩].

قرورى

وقال المهلّبي: قرورى ماء بحزن بني يربوع[٢٦٠].

٢٥٦- معجم البلدان، مادة جولى.

٢٥٧- معجم البلدان، مادة حديلاء، وقال مصغر يقال رجل أحدل وامرأة حدلاءُ إذا كانا مائلي الشق والحدلُ الميلُ.

٢٥٨- معجم البلدان، مادة ضدني.

٢٥٩- معجم البلدان، مادة قرحياء.

٢٦٠- معجم البلدان، مادة قروري.

قنوَى

قال المهلّبي: اسم جبل[٣٦١].

الهُنيما

موضع (كذا) هو في كتاب أبي الحسن المهلّبي[٣٦٢].

٣٦١- معجم البلدان، مادة قنوى.

٣٦٢- معجم البلدان، مادة الهُنيما.

فهرس الأعلام والشعوب والجماعات

فهرس الأماكن

ت

ل

م

المراجع

-"**اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**" تأليف تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق وتعليق جمال الدين السيال، القاهرة دار الفكر العربي، ١٩٤٨م.

-"**احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**"، جمع الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل الأديب الأريب المقنن المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري، نشرة دي خويه، ليدن بهولاندا، ١٨٧٥م ونشرة ثانية كاملة في ليدن بالعربية ضمن سلسلة المكتبة الجغرافية العربية عام ١٩٠٦م.

-"**الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**" لعز الدين ابن شداد، الجزء الأول - القسم الأول، تحقيق دومونيك سورديل، منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٥٣.

-"**الجغرافيا**" لابن سعيد المغربي، حققه وعلق عليه إسماعيل العربي، نشره بالمكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت، ع١٩٧٠ م.

-"**بغية الطلب في تاريخ حلب**" لابن العديم، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، دمشق ١٩٨٩.

-"**تاريخ الأدب الجغرافي العربي**" للمستشرق إغناتي يوليانوفيتش كراتشكوفسكي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٦٥.
-"**تقويم البلدان**" لأبي الفداء ، تحقيق المستشرقان الفرنسيان رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، المطبعة الملكية بباريس ١٨٤٠.
-"**دمشق الشام في نصوص الرحالين والجغرافيين والبلدانيين العرب والمسلمين**"، أحمد الإيبش ود. قتيبة الشهابي، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ١٩٩٨.
-"**رحلة ابن جبير**"، طبعة دار التراث في بيروت، ١٣٨٨ هجرية، ١٩٦٨ م.
-"**زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**" لغرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، اعتنى بتصحيحه بولس راويس، باريس ١٨٩٤م.
-"**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**" لأحمد بن علي القلقشندي، طبعة دار الكتب السلطانية القاهرة ١٩١٣ و١٩٢٠.
-"**صورة الأرض**" لمحمد بن علي النصيبي البغدادي والموصلي الأصل، المعروف بابن حوقل، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩.
-"**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**" لابن أبي أصيبعة، بيروت دار الثقافة، ١٩٨٧م.
-"**كتاب الاعتبار**" للأمير أسامة بن منقذ، تحقيق وتقديم قاسم السامرائي، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض ١٩٨٧.
-الكتاب المقدس.

-"**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**" لحاجي خليفة الشهير بكاتب جلبي، وهدية العارفين في الذيل على كشف الظنون للباباني، دار الفكر ، دمشق ١٩٨١.
-"**لسان العرب**" لابن منظور، طبعة دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان ١٩٩٦ ميلادية، ١٤١٦ هجرية.
-"**مجلة معهد المخطوطات العربية**" المجلد الرابع - الجزء الأول، مايو، ١٩٥٨، مطبعة مصر.
- "**مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين**"، الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٦٧.
-"**مروج الذهب ومعادن الجوهر**" لعلي بن الحسن المسعودي، طبعة دار المعرفة، بيروت ١٩٨٢م.
-"**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**" لابن فضل الله العمري، السِفْر الأول، تحقيق احمد زكي باشا، القاهرة ١٩٢٤. وأيضا طبعة مصورة من مخطوطة طوبقابو سراي باسطنبول في ٢٧ جزءاً صدرت ضمن منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية في جامعة فرانكفورت الألمانية عام ١٩٨٩.
-"**معالم دمشق التاريخية**" لأحمد الإيبش وقتيبة الشهابي، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٦.
-"**معجم البلدان**" لياقوت الحموي، طبعة مكتبة الأسدي، طهران ١٩٦٥م. وطبعات أخرى.

المحتوى

"الكتاب العزيزي" أو "المسالك والممالك" للحسن بن أحمد المهلبي وأحد من المصادر المهمة في الجغرافيا العربية خلال القرن الرابع الهجري. وضعه مؤلفه للعزيز بالله الفاطمي المعروف بشغفه اللافت بالكتب وتقريبه للمؤلفين والعلماء.

وقد شهد بأصالة هذا الكتاب وجدَّة مادته العديد من المؤرخين العرب والمستشرقين الذين درسوا تراثنا العربي في القرن الماضي.

قام الباحث تيسير خلف بإعادة جمع "الكتاب العزيزي" من جديد بعد أن فُقد منذ نهاية القرن الثامن الهجري، من جميع المصادر العربية المتوفرة، بما في ذلك مخطوطة الأمبروزيانا التي ضمت وصفاً نادراً لدمشق وبيت المقدس، وذكر لولاة مصر.

ويعتقد الباحث أن الكتاب أُحرق في نهاية العصر المملوكي نتيجة تراجع الحركة الفكرية والمعرفية وسيطرة نمط محدد من التفكير حاول أن يقصي ويرجم كل ما هو مخالف.

ولعل أهميته الكبرى تنبع من كونه أحد المصادر المبكّرة والغنية من شاهد عيان، عن أحوال بلاد الشام والثغور الشمالية، التي سقطت بيد البيزنطيين نهائياً أثناء حياة المؤلف، وهي فترة قلقة لا تذكر مصادر التاريخ والجغرافيا (المتوفرة) الكثير عن تفاصيل الحياة الاجتماعية والعقائد الدينية التي كانت سائدة فيها.

ولذلك يبدو هذا الكتاب، أو على الأقل ما وصلنا منه، مرجعاً مهماً لأي باحث في التاريخ العربي الإسلامي خلال الفترة التي سبقت تأسيس ممالك صليبية للفرنجة في بلادنا.

الناشر